الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية و النقدية

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص" أدب مقارن و عالمي"

الموسومة بعنوان:

تأثر الأدب العربي بالأدب الفارسي

رباعيات عمر الخيام أنموذجا

إعداد الطالبة:

✓ بريش عائشة

تحت إشراف:

– د. بلعبـــدي أسماء

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الصفة
د. بولحية صبرينة	رئيسا
د. بلعبدي أسماء	مشرفا و مقررا
د. شويتي أمينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020 / 2019

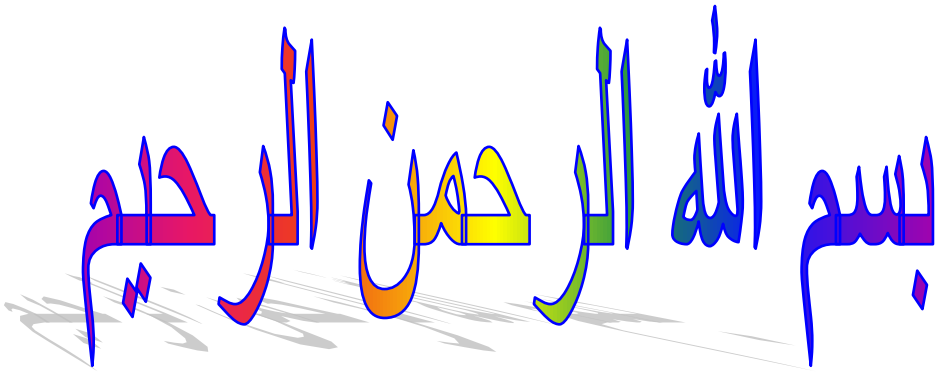
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

من أعماق قلبي أهدي ثمرة جهدي إلى التي رسمت حرفا من حروف الحبّ على لوحة قلبي بيد كمالها وطهارة روحها وقلبها، أمي الحنون رعاها الله وأطال في عمرها

إلى من علمني بهجة الوجود وفتح عيني نحو الآفاق التي كنت أجهلها وبثّ في قلبي حبّ التطلع وطلب العلم ودعمني وساندني من أجل نجاحي والدي العزيز حفظه الله وأطال في عمره

إلى من شاركوني أفراحي وحزني: إخوتي

إلى من شاركتني أعباء هذا البحث أختي وحبيبة قلبي نجاة

إلى من طبع هذه المذكرة وأخرجها إلى النور.

إلى كلّ من ساندني من الابتدائي حتى الجامعة.

إلى من تذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

عائشة

شكـر وعرفـان

إنّ اللّبيب من قابل المعروف بالشكر والعرفان، وللمعروف أهله، وأنت يا رب صاحب المعروف الأكبر أحمدك وأثني عليك وأشكرك بما يليق بمقامك يا الله، والشكر لرسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

وأزف عبارات الشكر والتقدير والعرفان لأستاذتي الدكتورة بلعبدي أسماء على ما قدمته لي من توجيهات ونصائح وإرشادات، فأسأل الله أن يبارك لها في علمها.

كما أتقدم بشكري الخالص للأساتذة الذين درّسوني وساندوني طوال مشواري الدراسي.

{لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}

[النّحل:103]

مقدمـــــة

عرفت اللغة العربيّة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا مجدًا تليدا، سيطرت من خلاله على مشارق الأرض ومغاربها، وصارت لغة العلم حتى أنّ العجم كانوا يفخرون بتعلمها وتعليمها لأبنائهم، ذلك أنّهم علِموا ما تكتسيه من أهميّة دينيّة ودنيويّة، فهي أغنى لغة على الإطلاق بأزيد من اثني عشر ألف جذر لغوي بفارق كبير جدّا عن لغات العالم الأخرى، وقد تبوأت هذه المكانة لسببين، أوّلهما أنّها حافظت على مكانتها عبر التاريخ لحملها القرآن الكريم، والثاني أنّها لم تنغلق على نفسها وأصبحت لغة دين وسياسة وعلم تأخذ عن اللغات الأخرى وتتفاعل معهم وتكيّف ما تأخذه حسب أوزانها. ولعل اللغة الفارسيّة من أهمّ وأكثر اللغات التي احتكت بها وتأثّرت بها عبر التاريخ، فقد امتزجت آداب هاتين اللغتين وتأثّرت ببعضها البعض تأثّرا عميقا.

ونظرا للأهميّة التي يحظى بها الأدب العربي باعتباره مؤثّرا ومتأثّرا بالآداب الأخرى ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا موسوما بـ: تأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي-رباعيات عمر الخيام أنموذجا-.

وعليه طرحنا الإشكالية التّالية: ما تجليّات تأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي؟ وتتدرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة تمثّلت في:

- ما طبيعة العلاقة الّتي تجمع العرب بالفرس؟
- كيف حدث التّفاعل الفكري بين العرب والفرس؟

- كيف تمكنت الترجمة من إحداث التّفاعل الفكري بين الأمتين؟

- ما أبرز مظاهر التأثير والتأثّر بين الأدب العربي والفارسي؟

- من الأدباء الذين تأثّروا بالأدب الفارسي عموما وعمر الخيام خصوصا؟

ومن خلال هذه الإشكالية يسعى البحث للإثبات أو تفنيد جملة من الفرضيات:

- تأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي في جميع أشكاله.

- لم تكن الترجمة وسيلة لنقل الأدب الفارسي إلى الأدب العربي.

- كان تأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي متزامنا مع الفتوحات الإسلاميّة والحركة الفكريّة في العصر العباسي.

- هناك قلّة قليلة من الأدباء الذين تأثّروا بالأدب الفارسي.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع محل صدفة بل جاء نتيجة لمجموعة من الأسباب منها موضوعية وأخرى ذاتية وتتمثل في:

أ- الأسباب الموضوعيّة:

- احتدام الصراع الفكري العربي الفارسي واختلاط الأصيل بالدخيل في الأدب العربي.

- كثرة الدراسات المقارنة بين الأدبين والتي تدعو إلى الدراسة والبحث.

– الإرث الفكري الغزير الذي تركه الشعراء والحكماء الفرس و مدى تأثّر الأدباء الأوائل والمعاصرين بهم خاصّة جماعة الديوان (شكري، العقاد، المازني) ورواد النزعة الرومانسيّة.

أما بخصوص سبب اختيارنا عمر الخيام أنموذجا فلسببين:

– السبب الأوّل: حكمة الشاعر عمر الخيام واحتكاكه بالأدباء العرب في زمن الخلافة العباسيّة.

– السّبب الثّاني: تأثّر الأدباء العرب به وبأفكاره الفلسفيّة.

ب– الأسباب الذاتية:

إنّ السّبب الرئيس الذي حزّنا ودفعنا للبحث ودراسة موضوع تأثّر الأدب العربي بالأدب الفارسي هو إعجابنا بشخصيّة عمر الخيام وفكره العلمي الذي تجاوز حدود المكان والزّمان وكان سابقا لعصره حتى عجز عن فهمه معاصروه، مثله مثل المتنبي الذي سبق زمانه بكثير من الآراء والأفكار والحكم والآداب.

وتهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على الأدب العربي وعلاقته مع الآداب الأخرى لاسيما الفارسي، كما تهدف إلى إطلاع الدارس على جهود عمر الخيام ومنابع ثقافته، وصوّر تأثّر الأدباء به.

وتكمن أهميّة هذه الدّراسة في أنّ ظاهرة التأثير والتأثّر في الأدب المقارن مبحث هام لفهم طبيعة الأدب العربي في علاقته بالأدب الفارسي، كما تفسّر هذه الدراسة الدور الذي لعبته

الترجمة وتاريخها من الفارسيّة إلى العربيّة. وتطلع الباحث على مدى عمق التداخل الثّقافي بين العرب والفرس.

وقد تضمّن بحثنا هذا مدخلا وفصلين مسبوقين بمقدمة ومتبوعين بخاتمة وملحق، حيث تناولنا في المدخل العلاقة التاريخيّة للعرب بالفرس عبر التاريخ، أمّا الفصل الأول فكان نظريّا تحت عنوان: تجليّات التأثير والتأثّر بين الأدب العربي والأدب الفارسي. وقسّمناه إلى مبحثين وخلاصة.

المبحث الأول: وقد عنونّاه بـ: بين الأدب العربي والأدب الفارسي، واندرجت تحته ثلاثة مطالب، المطلب الأول: تحدّثنا فيه عن التفاعل الفكري بين العرب والفرس، وفي المطلب الثّاني تطرّقنا إلى أسباب وعوامل التداخل الثّقافي بين العرب والفرس، والمطلب الثّالث بيّنا فيه مكانة الترجمة ودورها في نقل الأدب بين العرب والفرس.

أما المبحث الثّاني فعنوناه بـ: التأثير والتأثّر بين العرب والفرس، وينقسم إلى أربعة مطالب، المطلب الأول تناولنا فيه: مفهوم التأثير والتأثّر من الناحيّة اللّغويّة وكذا مفهومهما في الدراسات المقارنة، وفي المطلب الثّاني تطرقنا إلى مظاهر التأثير والتأثّر بين العرب الفرس من جوانب ثلاث: الأدبي،الثّقافي والديني، أما بخصوص المطلب الثّالث فكان عن مضاهاة الحكم والآداب بين الأمتين وصورها وذكرنا نموذجا لكل أمّة. وفي آخر مبحث تطرّقنا إلى أشهر الأدباء الذين تأثّروا بالأدب الفارسي في مختلف فنونه. ثم أتينا على خلاصة شاملة تجمع أهمّ نتائج الفصل.

أمّا الفصل الثّاني فخصصناه للشاعر عمر الخيام كأنموذج للدراسة والبحث، وقد قسّمنا فصلنا هذا إلى مبحثين.

أما المبحث الأوّل، فقد تناولنا فيه رباعيات عمر الخيام في مطلبين، واحد يعرّف بها، والثّاني يبين أقسامها، والمبحث الثالث، فقد كان عبارة عن أنموذج لتأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام وقسّمناه إلى مطلبين:

المطلب الأوّل: وذكرنا فيه نماذج من تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام.

المطلب الثّاني: قمنا بتحليل ومقارنة لرباعية من رباعيات الخيام مع بعض الأبيات للشاعر إيليا أبو ماضي.

ومن بين الدراسات السابقة التي تطرّقت لموضوع تأثّر الأدبين العربي والفارسي ببعضهما نجد:

– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي للطالبة حيدرة جميلة، (جامعة مستغانم، 2007) التي كشفت فيها عن أثر الأدب العربي في شعراء الفرس وقدمت الشاعر عمر الخيام كأنموذج للدراسة من خلال تأثّره بأفكار وآراء أبي العلاء المعري الفلسفيّة.

– مذكرة ماجستير في الأدب العربي والدراسات المقارنة للطالب يوسف بوجلّة (جامعة الجزائر،2007/2006) والتي كانت عن تأثّر الأدباء الفرس بالأدب العربي وقدمت الشاعر منوجهري كأنموذج للدراسة.

- بحث صادر عن جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعوديّة للسيد ثامر بن سليمان الحامد (1433/1432هـ) تحت عنوان تأثّر الأدب العربي بالآداب الأخرى ومن ضمنها الأدب الفارسي.

- بحث في مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث "العدد 26" للسيد وحيد صبحي كبابة (2011) عن الأثر الفارسي في شعر البحتري.

- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي للطالبة هدار سامية، (جامعة مستغانم، 2017/2016) تحت عنوان أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي قصة "ليلى والمجنون" أنموذجا.

- بحث في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانيّة للسيد أياد محمد حسين (2018) تناول فيه

رباعيات الخيام بين الواقع والتحريف.

وكأي بحث فقد واجهتنا بعض المصاعب والمشاكل أهمها: صعوبة الوصول إلى المكتبات بسبب الوضع الصحي الذي آلت إليه البلاد والمتمثّل في جائحة كورونا ممّا صعّب علينا اقتناء الكتب إضافة إلى أنّه تعذر علينا الحصول على بعض الكتب الإلكترونيّة المهمة للبحث، إضافة إلى ظروف أخرى خاصّة لا حاجة لنا لذكرها، وقد تطلبت منا هذه العقبات جهدا مضاعفا ووقتا أطول.

الحمد لله على وصول هذا البحث إلى النهاية التي نرجو أن تكون مُشرّفة وفي هذا الصدد نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدّم لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

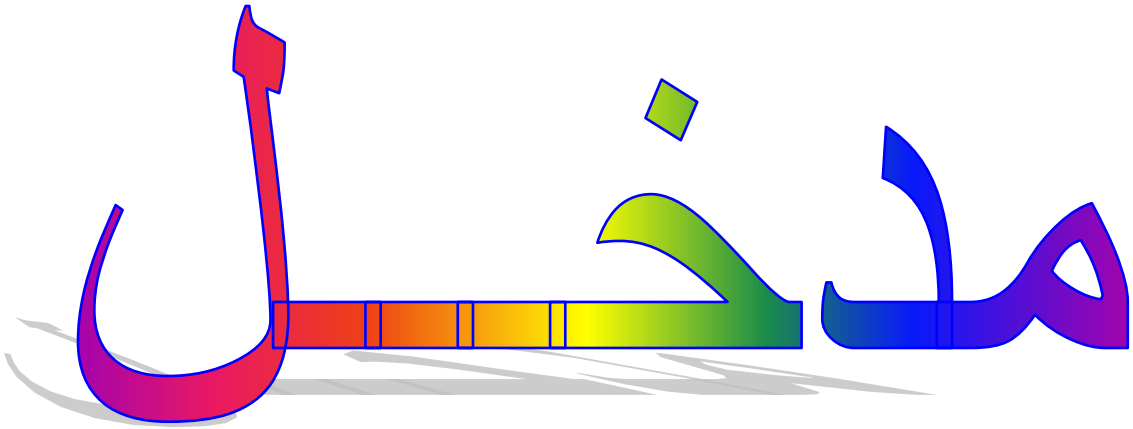
مدخل

يعد الحديث عن علاقة العرب بالفرس عبر التاريخ أمر في غاية الأهمية لفهم طبيعة التداخل الثقافي والأدبي بينهما، ذلك أنّ الأمتين كانتا على تواصل دائم بسبب قربها من بعضهما من حيث الجغرافيا من جهة، وبسبب التقارب اللّغوي من جهة أخرى، وهنا يمكن تقسيم العلاقة التي تجمع بين هاتين الأمتين إلى ثلاث مراحل، فالأولى تتحدث عن الفرس والأمم الساميّة عموما قبل الإسلام ثم نشير ثانيا إلى علاقة العرب بالفرس قبل الإسلام باعتبار أنّ الإسلام شكّل منحى جديدا في تاريخ البشرية وأعاد تقسيم أدوار الأمم في التّاريخ، فرفع أقواما ووضع آخرين، وأخير نشير إلى مرحلة ما بعد ظهور الإسلام وبلوغه مشارق الأرض ومغاربها.

1- الفرس والأمم الساميّة عامّة:

يرى شبيجل "Spiegel" أن تأثير السّاميين في إيران يرجع إلى ألف سنة قبل الميلاد، وهو تأثير واضح في عقائد وأساطير سامية الأصل، وحسب ما وصلنا من أحوال تلك العصور تتبين وجود علاقة بين الإيرانيين والآشوريين الذين جاوروهم وحكموا بعض بلادهم عدة قرون، هذه العلاقة التي لم يكن منها بد بحكم الجوار والسلطان ظهر بعض آثارها في اتخاذ الكيانيين اللّغة الآشورية لتدوين مآثرهم، فإنّ نقوش الكيانيين مكتوبة بثلاث لغات إحداها الآشورية.

وكلما سطع ضوء التّاريخ على حادثات تلك العصور زادت العلاقة بين الإيرانيين والساميين وضوحا، ففي أواخر عصر الأشكانيين وأوائل العصر الساساني يظهر أثر اللّغة الآرامية.[1]

[1] عبد الوهاب عزام: الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهليّة والإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، دط، القاهرة، مصر، 2013، ص19.

ونحن نجد الآثار الفهلوية مكتوبة بلغة أقرب إلى الآرامية منها إلى الفارسية، وكثيرا ما يعجب الإنسان حين يسمع أن الآرامية في فهلوية الأنصاب أكثر من العربيّة في الفارسيّة الحديثة، وأن علامات الجمع والضّمائر وأسماء الإشارة والاستفهام والموصولات والأعداد من 1 إلى 10 وأشهر الأفعال والأفعال المكملة مثل فعل الكون والذهاب والإدارة والأكل والظروف وحروف الجر والعطف كلها من أصل سامي، وليس من الإيراني فيها إلا نهايات الأفعال والضمائر التي في أواخر الكلام، ويمكن تفسير ذلك: بأن الساسانيين كتبوا لغتهم بكلمات سامية منعًا للبس فأخذوا كلمات كثيرة من الآرامية مع مقطع فارسي مثلا فيركبون، يكتبون مع (تن) وهي نهاية المصادر الفارسية فيرسمونها يكتبونتن بدل نوشتن (الكتابة).[1]

وقد استعمل الفرس قبل الاسلام سبعة أنواع من الكتابة، ويسمى الهجاء عندهم بـ زوارشن (هزفارش) لتمييز الكلمات المبهمة، وكانوا إذا أرادوا أن يكتبوا كوشت مثلا وهو اللحم كتبوا الكلمة السامية بسرًا ولكنهم يقرؤونها كوشت، وإذا أرادوا "نان" (الخبز) كتبوا لهما وقرءوها "نان" وهكذا.

وهذا ما جعل الكلمات الآرامية تختفي حين كتب الفهلوية بخط بازن عند الزردشتيين أو باللّغة العربية.

ومهما يكن من أمر الخط الفهلوي المبهم العجيب فهو يدل على أن كتاب الفهلوية كانوا يعرفون الآرامية، ونرى أنّ هذا دليل على مقدار العلاقة بين الإيرانيين والسّاميين في ذلك

[1] المرجع السابق، ص19–20.

العصر.[1]

ويظهر لنا من خلال ما سبق ذكره وجرى سرده أنّ التأثير السامي واضح جدّا في المجتمع الفارسي خاصّة من جانب اللغة وما يتصل بها من خط وكلمات وما إلى ذلك.

2- العلاقة بين العرب والفرس قبل الإسلام :

تربط العرب والفرس علاقات متصلة عبر الزمان، ولو ذهبنا نتلمسها لنتمثلها في سياق تاريخي واضح المعالم، لا استدعى الأمر أن نبدأ بالعهد الاسطوري من تاريخ الفرس. فمن ملوك هذا العهد من يسمي الضحاك الذي يسوق المؤرخون نسبه في العرب.

قيل: "إنه عربي وابن ملك في بلاد العرب يسمي مرداس كان خيرا تقيا، إلا أن الشيطان أضلّ الضحاك وزين له أن يقتل أباه فقتله وتملك بعد"، وفي رواية أخرى : أن الضحاك الحميري قدم من اليمن بجيش جرار، فانقض على جمشيد كما تنقض العقاب على الأرنب، وغنم أمواله ونساءه تعلق جمشيد بأذيال الفرار.[2]

وافتخر به أبو نواس بادعائه أنّه منهم (الحسن بن هانئ) في قوله:

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَاكُ يَعْبُدُهُ الـ خَابِلُ والجِنُّ في مَسَارِ بِهَا[3]

و تظهر الصلة بين العرب والفرس بشخصية فارسية أخرى، غير أنها تختلف عن شخصية الضحاك بفوارق، أولها: أنّها فارسية لا شك في فارستيها، والثاني: أنها اتصلت مباشرة برجال

[1] المرجع السابق، ص20.

[2] حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، الدار الثقافيّة للنشر، ط1، 2001، ص11.

[3] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطّبري، الجزء الأوّل، ص194.

وامرأة من العرب، كما أن عهدها أدنى إلى عصور التّاريخ منه إلى عصور الأساطير، ونعني كيكاوس خليفة كيقبادو أكبر أبنائه، وهو الثاني من ملوك الفرس المعروفين بالكيانيين، يقول المسعودي: "إنّه حكم مائة سنة وخمسين" وشهرته بالشجاعة والنجدة وشدة البأس في القتال، قيل: وفتح بلاد مازندران ووقع في أسر الجن ثم خف البطل رستم لنجدته بعد أن عميت عيناه، فأخرج كبد ملك الجن ومسح بها عينيه فارتد إليه البصر، وقد خرج لغزو اليمن فتصدى له ذو الأذعار بن ذي المنار بن الرائش الحميرى مع أقيال حمير ورؤساء قحطان، ولكن دارت الدائرة على العرب فصالحهم كيكاوس على أن يقدموا إليه ذهبا وثيابا وخيلا عرابا وألف رمح، كما زوج ذو الأرعار ابنته سعدى وهي المعروفة عند الفرس بسودابة من كيكاوس، وكانت كأجمل أهل زمانها، وقد أشار الفردوسى إلى ذلك بقوله: (ولى هذه البنت الوحيدة في دنياي، وإنها لأعز من روحي عليّ، وأخذه الأسى واستدعاها، وتحدث عن كيكاوس أمامها. وقال: يا سودابة مادام الأمر ليس بيدنا، فلن نجد اليوم أفضل منه مواسيا لنا، تزوجيه لماذا تحزنين، إنّ الإنسان لا يعتبر الأفراح من الأتراح.[1]

وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات، وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق، وبلغ مُلكه الشام، فأغار على مدينة سابور ذي الأكتاف، فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا، ثم إن سابور جمع جيوشا وسار إلى ضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه إلى شيء، ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا

[1] حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، مرجع سابق، ص12-13.

يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت إليه تقول: ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ فقال : أحكّمك، فقالت: عليك بحمامة مطرقة ورقاء، فاكتب عليها بحيض جارية، ثم أطلقها فإنّها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها، وكان ذلك طلسما لا يهدمها إلا هو، ففعل ذلك فقالت له: وأنا أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فأقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن، واحتمل بنته النضيرة وأعرس بها، فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها، وقيل : كان ينظر إلى مخ عظمها من صفاء بشرتها، ثم إن سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها. وقيل: إنّه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفّر غدائرها بذنبه، ثم استركضه فقطعها قطعا.[1]

ونمضي في التاريخ لنتبيّن صلة أخرى بين الفرس والعرب تختلف عما أسلفنا ذكره، لأنها صلة تعاون ومودة لا تشاحن وعداوة.

فلما حمل الفرس على اليونان كانت العرب معهم في حملتهم بإبلها وأحمالها، وقد دعت الحاجة إلى أن تكون حشود العرب في المؤخرة مخافة أن تجفل الإبل ويضطرب الجيش.[2]

وحين صح عزم قمبيز على فتح مصر (عام 526 قبل الميلاد)، كان في جيش فرعون مصر محارب مرتزق يسمى فانس، وكان عاقلا أحكمته التجارب، واسع العلم ببواطن الأمور

[1] شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح الأبشيهي، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، تحقيق محمد الهنا، مكتبة الإيمان، منصورة، مصر، ط2، 2006، ص395.

[2] حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، مرجع سابق، ص16.

في مصر، غير أن جفوة وقعت بينه وبين فرعون فولى منها فرارا، وأرسل فرعون رجاله في أثره، وتمكنوا من أسره، غير أن الرجل كان واسع الحيلة فاسكرهم، وبذلك تهيأ له أن يفلت منهم ويتخذ سبيله إلى فارس، وهناك مَثَّل في حضرة قمبيز الذي كان على تمام الأهبة لغزو مصر، فأشار عليه أن يدخل مصر من الصحراء لا من البحر، وأشخص قمبيز رسولا إلى ملك العرب يطلب إليه أن يُفسح طريقا في بلاده لعبور جحافل الفرس، وهذه البلاد العربية هي شبه جزيرة سيناء، وعاهد ملك العرب ملك الفرس على أن يمد جبته بكل ما تمس إليه حاجته، فحمّل قوافل الإبل قرب الماء وأرسلها إلى جيش قمبيز وهو يزحف في البيداء، كما قيل: إن ملك العرب أمر بصنع الأنابيب من جلود البقر ليتدفق ماء البحر فيها إلى البادية، كما حفر الآبار على طول الطريق لتزود الجند بما يدفع عنهم عادية الهلاك ظمأ.[1]

ويذكر النضر بن الحارث بذكر أبوه الحارث بن كندة الذي رحل إلى بلاد الفرس وتعلم الطب في مدينة جند نيسابور، حتى تهيأ له أن يطب بعض عظماء الفرس فكافأه كسرى على ذلك بمال جزيل ووهبه جارية سماها الحارث سمية، وهي أم زياد بن أبيه، ثم عاد الحارث بن كندة المتوفى عام (13هـ) إلى الطائف، وأشاع علم الطبّ بين العرب. ويجدر الذكر أن أطباء العرب المشاهير درسوا علم الطب في فارس.[2]

وكان الحارث بن كندة معاصرا للنّبي، ومعلوم أنه أشرف على معالجة ملك الفرس، وله مع ملك الفرس خبر طويل مجمله أنّه وفد عليه فوقف بين يديه منتصبا وسأله الملك عن

[1] المرجع السابق، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص26.

صناعته فقال: الطب، وقال الملك: أعرابي أنت، فرد عليه الحارث مزهوًا بقوله: نعم من صميمها وبحبوحة دارها، وتعجب الملك قائلا: وما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها، فأفحمه الحارث بقوله: أيها الملك، إذا كانت هذه صفتها، كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ويقيم عوجها.

وتُبيّن هذه المحاورة مكان العرب من الفرس في رأي ملك فارس، كما تبين النسبة بين الفرس والعرب في ذاك العهد.[1]

نستنتج من خلال ما سلف ذكره أن أمة العرب وأمّة الفرس كانتا على اتصال كبير قبل الإسلام وكان هذا الاتصال في شتى المجالات، كالتجارة والمصاهرة والحرب والتعاون بين الأمتين أحيانا والنزاع أحيانا أخرى...

ومنه فإنّ علاقة العرب بالفرس ضاربة في جذور التاريخ بعمق، وحتى عهد الغساسنة والمناذرة وصولا إلى سطوة آخر ملك للفرس "كسرى" الذي أنهاه المسلمون مع انتشار الرسالة المحمديّة.

3- علاقة العرب بالفرس بعد الإسلام:

نظرا لطبيعة الاتصال الذي حصل بين العرب والفرس بعد الفتح الإسلامي، والذي اتسم بالحيوية والعمق والتلاحم القوي بين الجنسين في ظلال الإسلام، فقد كان التأثير المتبادل بينهما بالدرجة نفسها من القوة والاتساع حيث أثرت الثقافة الفارسية الشعبية تأثيرا بعيدا في

[1] المرجع السابق، ص26.

المحيط العربي وبالأخص في مجالات المأكل والمشرب والملبس وبناء القصور ونظام الخدم والحشم والاحتفال بالأعياد، وهي المظاهر الحضارية التي بلغ فيها الفرس الذروة العليا.

وانفتحت أمام العرب أبواب التراث الفارسي في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والآداب. ومما يجدر الإشارة إليه أن الفرس بعد أن دخلوا في دين الله أفواجا، كانوا خير عون للعرب على نقل تراثهم إلى العربية ذلك أنهم عندما أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم حملوا معهم ثقافتهم ونقلوها إلى العربية أثناء إسهاماتهم في بناء المجتمع الجديد قبل أن تصبح الترجمة عملا رسميا.[1]

ومما يجدر بنا الإشارة إليه هو ذلك الصراع الديني الذي ظهر بعد خلافة علي رضي الله عنه وما تبعها من أحداث وقعت في كربلاء مع الحسين بن علي رضي الله عنه في حين قتله الخوارج وفَصْل المسلمون إلى طوائف مختلفة، أكثر ما صمد منها واشتدت النزاعات عبر التاريخ فيما بين أهل السّنة والشيعة، فالأولى جمعت بين العرب والفرس والعجم، بينما تمركز أهل الشيعة في بلاد الفرس ولازالوا حتى السّاعة، يقول الدكتور عبد الله خليفة "في العاصمة كان الصراع بين القوميتين المتوازيتين الظاهرتين العرب والفرس، قد أخذ يتجه للتمظهر في صراع السنة والشيعة، ولم تعد المذاهب السنية هي فقط واجهة الدولة بل كذلك شكل وعي العرب الرئيسي"[2].

[1] محمد زرمان الجزائري: الثقافة العربيّة الإسلاميّة وتجربة التفاعل مع الآخر، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2008، ص38،

[2] عبد الله خليفة: الاتجاهات المثاليّة في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص38

وقد بلغ الصراع العربي / الفارسى ذروته لدى جماعة خلق القرآن، أي المأمون ومن تبعه من الخلفاء، لكن التوجه الفارسي للمأمون لم يكتب له النجاح، فقد كانت عودته لقلب الدولة في بغداد والانفصال عن الأرستقراطية الفارسية بداية لتوجهه العربي.

لكن الصراع لم يحسم بين القوميتين الرئيسيتين على إدارة الدولة، وغدا الصراع السني / الشيعي علامة متوارية لذلك الصراع القومي المضمر، حيث تقع الدولة على خطوط التماس بين العرب وفارس. وحينئذ قام المتوكل بانقلابه الإيديولوجي السياسي، وقد ساعدته التراكمات الاجتماعية التي قام بها المعتصم للارتكاز على الأتراك كقوة عسكرية أساسية، وإبعاد الفرس والعرب معا عن قوة الجيش الأساسية، وخلق عاصمة جديدة تركية محضة، وغدت هذه القوة الرعوية السكانية الكبيرة عامل تحجيم واسع للفرس وللتيارات الفكرية المعاضدة لهم، وغدا تسطيح الوعي وشكلنة الإسلام الراية التي تمخر بها أجنحة الإقطاع المتعددة بحر المصالح المتلاطم للهيمنة الكلية على السلطة."[1]

وعليه فإنّ العلاقات بين المجتمعين العربي والفارسي أخذت بُعدين بعد ظهور الإسلام، أولها البعد الديني والمتمثّل في صراع السنّة والشيعة، والبعد الثّاني المتمثّل في البعد السياسي والصراع الذي حام حول كرسي العرش في الدولة العباسيّة على وجه الخصوص.

[1] المرجع السابق، ص20.

الفصل الأوّل

تجليات التّأثير والتأثّر بين الأدب العربي والأدب الفارسي

تمهيد

المبحث الأوّل: بين الأدب العربي والأدب الفارسي.

- المطلب الأوّل: التفاعل الفكري بين العرب والفرس
- المطلب الثّاني: التداخل الثقافي العربي الفارسي، العوامل والأسباب
- المطلب الثّالث: مكانة الترجمة ودورها في نقل الأدب بين العرب والفرس

المبحث الثاني: التأثير والتأثر بين العرب والفرس

- المطلب الأول: مفهوم التأثير والتأثر
- المطلب الثاني: مظاهر التأثير والتأثر
- المطلب الثالث: مضاهاة الحكم والآداب (التأثر المعاكس) وصورها
- المطلب الرابع: أشهر الأدباء العرب الذين تأثروا بالأدب الفارسي

خلاصة.

تمهيد:

طالما عرفت الآداب عبر مختلف العصور والأزمنة علاقات وتفاعلات على مستوى الشكل والمضمون، وقد شهد الأدبان العربي والفارسي احتكاكا كبيرا وصل إلى حدّ التداخل من حيث الفلسفة اللغويّة والأنماط الأدبيّة، وكان لحركة الترجمة بالغ الأثر في بناء الثقافة الأدبيّة الجديدة التي عرفها الأدبان العربي والفارسي والتّجديد الذي ظهر في الشعر والنثر بأنواعه من قصص على لسان الحيوان وأدب الرحلة وفنّ المقامة وما إلى ذلك، ولا شكّ أنّ للأدب العربي الفضل الواسع والأكبر على الأدب الفارسي في إخراجه من كونه فنا لذاته وجعله فنّا يُوجّه رسالة اجتماعيّة أو ثقافيّة أو سياسيّة...

وارتأينا أن نبرز في هذا الفصل من خلال مبحثين ومجموعة من المطالب العلاقة التي تربط الأدب العربي والأدب الفارسي، وأوجه التأثير والتأثّر بينهما، مع ذكر أهم الأدباء العرب والفرس المتأثرين بثقافة وفكر الأمتين على اختلافهما.

المبحث الأوّل: بين الأدب العربي والأدب الفارسي

– المطلب الأوّل: التفاعل الفكري بين العرب والفرس

يمكن أن يظهر التفاعل الفكري العربي الفارسي في مرحلة الخلافة العباسيّة، لاسيما بعد مساعدة الفرس لبني العباس في القضاء على الأمويين وأخذ الحكم منهم، لتزداد بذلك حظوة الفرس في قصر الخلافة ومدينتها، وجعلهم الخليفة يتقلدون المناصب والحرف، ليظهر تأثيرهم جليا في أعمال الترجمة والكتابة بمكتبة بغداد، وتتداخل بذلك علومهم، وتنتشر أفكارهم وثقافتهم، وبذلك " فقد تميزت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي بأنها جمعت إلى الحضارة العربية الأدبية والفكرية أبهة الفرس ونظمهم وآدابهم، ومهارة أهل السند بالصيرفة والعقاقير، وصناعة أهل الصين وفلسفة اليونان وآدابهم وحساب الهند وعلومهم الفلكية، والطبية؛ وانصهرت الشعوب المختلفة في المجتمع العباسي بفعل التوالد والاختلاط، فكثرت الجواري والإماء ونشأت طبقة المولدين، وتزاوجت العقول والأفكار لتوالد ثقافة عربية جديدة".[1]

ومن الأسباب التي ساعدت على هذا التفاعل الفكري بين الأمتين العربيّة والفارسيّة نذكر ما أوردته الدكتورة نسرين هاني الدهني في كتابها: "استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي":

[1] تغريد زعيميان: الأراء الفلسفيّة عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، الدار الثقافيّة للنشر، مصر، ط1، 2003، ص228.

1- الاتجاه إلى تعلم اللغة العربية لأنها لغة الدين واللغة الرسمية للدولة الإسلامية، وبالتالي كان على كل من يطلب منصبا أو وظيفة في الدولة أن يتعلم العربية.

2- معاهد التعليم المشتركة من كتاتيب أو حلقات مسجدية، كان الفرس يتعلمون فيها جنبا إلى جنب مع العرب، وكانت هذه الكتاتيب تحت إشراف الدولة التي شجعت التداخل الثّقافي والفكري وفتحت بذلك مجالا رحبا للتعلّم والإبداع.[1]

3- مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء وأبناء العامة، وكان معظم هؤلاء من الفرس، ويتمثل دورهم في أنهم كانوا يلقون على تلاميذهم ما حفظوه من ثقافة الفرس والعرب وآدابهم ومثال ذلك ما طلبه الرشيد من مؤدب أولاده الكسائي حين خاطبه قائلا: «يا علي بن حمزة، قد أحللناك المحلّ الذي لم تكن تبلغه همّتك، فرونا من الأشعار أعفّها، ومن الأحاديث أجمعها لمحاسن الأخلاق، وذاكرنا بآداب الفرس والهند».[2]

4- مجالس المناظرة: كان يُعقد فيها مناظرات أدبيّة وعلميّة يتبادل من خلالها مثقفو الأمتين أفكارهم ويظهرون فيها إبداعاتهم بشكل مبهر.

5- متطلبات ثقافة الكاتب: إذ كان مما يتصف به كتاب ذلك العصر إتقان اللغتين العربية والفارسية، إضافة إلى الاطلاع على أشعار العرب وأخبارهم، وتاريخ الفرس وأساطيرهم، وحكم أنوشروان وبزرجمهر وتعاليم مزدك.[3]

[1] نسرين هاني الدهني: استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي، ج1، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص27.
[2] المرجع نفسه، ص27-28.
[3] المرجع نفسه، ص28

6- النّقل والتعريب والترجمة: عمل الفرس على إحياء تراثهم من خلال ترجمته إلى العربية، فكانت التّرجمة المعبر الذي دخلت من خلاله ثقافة فارس إلى الثقافة العربية الإسلامية، حيث قام الكثير من المترجمين من العرب والفرس الذين أتقنوا العربيّة بنقل علوم وآداب الأمتين إلى اللغة العربيّة بتشجيع من الخلفاء، وحدث ذلك في بيت الحكمةّ، ومن أهم المترجمين نذكر عبد الله بن المقفّع الذي ترجم كتاب "كليلة ودمنة" من الفارسيّة إلى العربيّة، وهو عبارة عن مجموعة قصص للأطفال والكبار كثير منها على لسان الحيوان وهو كتاب هندي في الأساس، نقل إلى الفارسية ثم إلى العربيّة.[1]

7- حقول من المعاني والموضوعات المبتكرة فضلا عن جديده في العديد من الأساليب: حيث شهد الأدب بشكل خاص ميلا نحو زخرف القول الذي يعكس المظاهر الحياتية للفرس في مجال الزينة، كما أوجد الشعراء الفرس أوزانا شعرية جديدة وأدخلوا الكثير من الألفاظ العربيّة في أشعارهم وهو الأمر ذاته الذي حدث مع الشعراء العرب من استخدام المصطلح الفارسي والتجديد في أغراض الشعر بعدما كانت مقتصرة على المدح والهجاء والرّثاء وغير ذلك[2].

[1] المرجع السابق، ص28–29.

[2] المرجع نفسه، ص29.

– المطلب الثاني: التداخل الثقافي العربي الفارسي، العوامل والأسباب

شكّل التقارب العربي الفارسي بعد الفتح الإسلامي ثقافة جديدة بين الأمتين، فازداد إطلاع الفرس على ثقافة العرب في هذه الفترة بعدما كان اهتمامهم محصورا في الشعر الجاهلي فقط، وتهاوت فكرة الامبراطوريّة الفارسيّة التي كان عرب الجاهليّة تبعا لها، وفي الوقت نفسه انفتحت أمام العرب ثقافة الفرس فاضطلعوا عليها بالمحاكاة والنقد، ولعل لهذا التداخل بين الأمتين أسباب وعوامل متعددة سنحاول ذكر ما تيسّر لنا منها في هذا المطلب.

- أسباب وعوامل التداخل الثّقافي بين العرب والفرس:

يمكن تقسيم العوامل التي أدت إلى التداخل العربي الفارسي إلى أربعة عوامل: أولها العامل الديني، وثانيها العامل الجغرافي وثالثها العامل الاجتماعي، وآخرها العامل الزمني.

1- العامل الديني:

يعدّ الإسلام أكثر المحفزات تأثيرا في التداخل العربي/ الفارسي، وهو ما ميّز بوضوح بين ما قبله وما بعده في مسار العلاقات الثقافية العربية/الفارسية، إذ كان عاملا أساسيا نقل المجتمعين العربي والفارسي نقلة نوعية إلى مسرح التفاعل العالمي.

وجاءت حركة سلمان الفارسي نحو الجزيرة العربية بحثا عن الحقيقة بحقيقتين أساسيتين بخصوص التداخل الثقافي العربي/الفارسي قبيل ظهور الإسلام:

أولاهما أن الأوضاع الثقافية والإنسانية الفارسية قبل الإسلام كانت مستعدة لاستقبال عامل مجدد وفاعل في فضائها بعد أن دمرتها سياسات الإمبراطورية الساسانية،

وثانيتهما أن المجتمع العربي لم يكن معزولا عن المجتمع الفارسي، بل كان هناك تواصل بشري ورحلات في كلا الاتجاهين، إذ كانت مكة والمدينة تستقبلان باستمرار أبناء بلاد فارس، كما كان اليمن وسواحل الجزيرة العربية المقابلة للضفة الفارسية شاهدين بدورهما على تفاعلات عربية/فارسية.[1]

وقد كان للعامل الدّيني دور كبير في تهيئة الجو العامّ لتداخل ثقافيّ بين العرب والفرس، إذ فهم الفرس أن غاية الإسلام هي تحريرهم من الطّبقيّة وتقاليد العبوديّة، ورتّب نظرة الطّرفين العربيّ والفارسيّ إلى الوجود، وإلى بعضهما البعض، وعلَّم كلّ طرف كيف يتخلّص من العوائق الأرضيّة والنّفسيّة، ويعقّد تبادلات ثقافيّة بعيدًا عن الحسابات الضيّقة. وقد مثّل هذا العامل صمام الأمان للصّيرورة العربيّة الفارسيّة التّداخليّة، بالأخص في القرون اللاّحقة عندما تعرّضت العلاقات بين الضّفتين لأزمات وهزات عنيفة.[2]

2- العامل الجغرافي:

قد ساهمت المجاورة الجغرافية بين الشعب العربي والشعب الفارسي في توطيد العلاقات بينهما، فقد كان العراق أو بعبارة أدق "الحيرة" حلقة الاتصال بينهما، ومن البديهي أن تفتح تلك الحلقة (العراق) قناة الاتصال بينهما، يضاف إلى ذلك أن دولتا الغساسنة والمناذرة تسابقت إلى إدخال في رعايتها الكثير من القبائل العدنانية التي كانت متواجدة في بادية العراق والشام والجزيرة والحجاز والبحرين، فانتمى كل منهما إلى دولة كبرى، الغساسنة للروم،

[1] رشيد يلوح: التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الاوّل إلى القرن العاشر الهجري، المركز العربي للأبحاث والدراسات، دطَ، مارس، 2014، ص231-232.

[2] المرجع نفسه، ص232.

والمناذرة للفرس، «وكانت تلك القبائل أكثر احتكاكا بدولة اللخميين مما بالغساسنة، وأكثر تعظيما لأمرها وتهيبا منها، فكانوا أشد رغبة في الانضمام إليها والدخول في رعايتها، فاتسع سلطان اللخميين اتساعا كبيرا ولا سيما إبان سطوة الفرس وضعف الروم، اضف إلى ذلك أن بعضا من القبائل العربية كعبد قيس وأزد كانوا مخالطين للفرس، فيلاحظ أن علاقة القبائل العربية بالفرس قد تجاوزت حدود التجاور والقرب إلى حدود التّداخل والاندماج وهذا كفيل بأن يخلق حالة من الثنائية اللغوية لدى الطرفين، سببها الأساسي هو ما يعرف بـ (حالة التثاقف) (L'acculturation) أو (التداخل الثقافي) (L'interculturalité)، لذا لا يبدو من الغريب أن تتوافر في لغة أمة منهما مفردات من الأمة الأخرى.[1]

وهذا ما يجعلنا نرى أنه لا يمكن للعامل الجغرافي أن يكون بأي حال من الأحوال عاملا محايدا في تاريخ التداخل الثقافي العربي/الفارسي بل عكس ذلك، إذ نجده لعب دورا في صناعة الفعل التداخلي ونتائجه، وقد أصبحت في ما بعد بغداد والبصرة ودمشق وخراسان وما وراء النهر، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة محاور ناظمة لحركة تداخل ثقافي دقيق وفريد في تاريخ الثقافة الإنسانية وبلغ هذا الدور التداخلي للعامل الجغرافي قمة نضجه في شبه القارة الهندية والأناضول والبلقان والأندلس، فكانت تلك البقاع محطات للتبادل والتلاقي بين العرب والفرس من جهة، وغيرهم من الشعوب من جهة أخرى، ومن تلك الأماكن انتقلت

[1] أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم النطنزي الأصبهاني، دستور اللغة العربية (كتاب الخلاص)، ج1، دراسة وتحقيق أحمد هادي زيدان، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 1971، ص12.

نتائج الكسب الثقافي التداخلي العربي/ الفارسي إلى العالم.[1]

3- العامل الاجتماعي:

لقد كان للعامل الاجتماعي الأثر في تقارب الشعبين وتداخلهما، ومن ثم اقتراض لغة أحدهما من اللغة الأخرى، وقد تجلى هذا العامل في العديد من الروايات التي نقلتها كتب التاريخ، إذ دلت تلك الروايات على عمق الروابط الاجتماعية بين أمتي العرب والفرس، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الكثير من أبناء العرب كانوا يعيشون في بلاد فارس كأسرى وكان الآباء يأتون لزيارتهم، فيُقال جاء أبو فلان ليعرف الولد بأبيه فلا يعترض فيه اشتباه – وهذا هو سبب وجود التكنية في أيام ملوك العجم لأنّها تعرف الولد بأبيه فلا يكون هناك أي اختلاط أو لبس بين الأولاد – وبما روي أيضا أن الملك الساساني يزدجر بن بهرام (ت 420 م) أراد لابنه بهرام منزلا مناسبا سليما من الأدواء والأسقام فاختار له الحيرة؛ لتكون مقرا له، وأرسله إلى ملكها النعمان الأول (ت 431 م) وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ليتعرف على أيامها وأخبارها ولغاتها، ومن ذلك أيضا ما روي من استخدام كسرى آبرويز (ت 628 م) عددا من الأعراب للكتابة والترجمة بعد أن طلب من المنذر الرابع في ذلك، فبعث إليه المنذر الشاعر عدي بن زيد العبادي (ت نحو 35 ق. هـ) وأخويه ليترجموا له ما يريد من الكتب فكان كاتبه وترجمانه، وقد خلف عدية ابنه في وظيفته، وممن تترجم لكسرى أيضا في ديوانه الشاعر لقيط بن يعمر الإيادي (ت 249 ق. هم) الذي كان يتقن العربية والفارسية، ومن روايات التاريخ في هذا المجال ما ذكر عن رحلة الشاعر الحارث بن كلدة

[1] رشيد يلوح: التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الاوّل إلى القرن العاشر الهجري، مرجع سابق، ص234–235.

الثقفي (ت نحو 50 هـ) من الطائف إلى جند يسابور وغيرها من بلاد فارس لغرض تعلم الطب والعزف على العود، إذ يروى أنه التقى كسرى أنوشروان وجرى بين الرجلين حديث مطول وحوار في الطب، ومن الطبيعي أن تفضي تلك الروابط واللقاءات بين شخصين أو أكثر ينتمون إلى ثقافتين ولغتين مختلفتين إلى أن يأخذ كل منهم من ثقافة الآخر ولغته، فاللقاء والاختلاط بهم يولد تأثيراً وتأثراً في كلا الطرفين، ونتيجة لذلك تولّد ما يمكن ما يمكن أن يُسمى (الثنائية اللغوية) (BILINGUISME) الذي عادة ما نجده عند الشعوب المزدوجة بسبب تداخل الأعراق المكونة لنسيجها الاجتماعي.[1]

4- العامل الزمني:

تظهر أهمية العامل الزمني في كونه "الوعاء التاريخي الحي للصيرورة التداخلية، إذ ليست هناك فاعلية إنسانية تحدث خارج الزمن، وبناء عليه، لاحظنا أن الإسلام منح حياة العرب وثقافتهم معانٍ زمنية جديدة نقلتهم من حالة العبث والضياع، إلى الرساليّة والقصدية، وقد كان لهذا المفهوم الجديد للزمن بالغ الأثر في العملية التداخلية العربية/الفارسية، حيث ارتبط العمل عند الناس بالوقت وارتبط كلا العنصرين (العمل–الوقت) بالمسؤولية، الأمر الذي أعطى الجهد التداخلي قوة حركية وأشبع المنتج الثقافي بروح الزمن."[2]

[1] أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم النطنزي الأصبهاني، دستور اللغة العربية (كتاب الخلاص)، مرجع سابق، ص12–13.
[2] رشيد يلوح: التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الاوّل إلى القرن العاشر الهجري، مرجع سابق، ص235.

- المطلب الثّالث: مكانة الترجمة ودورها في نقل الأدب بين العرب والفرس

تعتبر الترجمة حركة فكريّة وثقافيّة عظيمة في تاريخ الأمم، ذلك أنّها مكنت العديد من المجتمعات من التعرف على بعضها البعض، وبالتالي الاستفادة من خبراتها وآدابها وكامل منتجاتها الحضاريّة، كما أسهمت بشكل جليّ في نقل ثقافة أمة لأمة أخرى، وتسهيل التقارب الأدبي والفنّي بينهما، ولعل حركة الترجمة التي شهدها العالم العربي منذ احتكاكه بالآداب الأخرى ومنذ احتكاك الآداب الأخرى به قد أنتجت نمطا أدبيّا وفنيّا جديدا امتزج بين الجيّد والرديء، ونخصّ بالذكر هنا حركة الترجمة بين أمتي العرب والفرس وما تبعها من نقل للأدب بين الأمتين.

1- تاريخ الترجمة العربيّة الإسلاميّة وأسبابها:

بدأت حركة الترجمة في الدولة الإسلامية في عهد دولة بني أمية، الذين اهتموا بنقل علوم اليونان وترجمتها إلى اللغة العربية وذلك بواسطة علماء السريان مثل يعقوب الرهاوي أسقف مدينة الرها. ومن أبرز المهتمين بأمر الترجمة من بني أمية خالد بن يزيد والذي يُعدّ أول مسلم أمر بالترجمة من لغة إلى لغة.

قامت حركة الترجمة في الدولة الإسلامية في مرحلتين متباعدتين من الزمن، الأولى في صدر الدولة الأموية والثانية في صدر دولة بني العباس أيضا، وبالتحديد في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور واستمرت حتى عهد الخليفة المأمون.[1]

[1] نصر الدين جار النبي سليمان، حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأوّل (132هـ-232هـ)، مجلّة جامعة شندي، ع1، السودان، يناير 2004، ص83.

واتصل العباسيون الأوائل في هذه المرحلة بمدارس السريان وأقبلوا على دراسة العلوم بها وتمكنوا بفضل ذلك أن يترجموا كتباً في الطب والفلك عن السريانية.

وقد ساعدت عدة عوامل في نشأة وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، الأول منها ميل بعض خلفاء العصر للعلوم الفلسفية والطبيعية، وعادة ما يكون الخلفاء أقرب الناس إلى الترغيب فيما أحبوا، حيث كان الخليفة المنصور كثير الاهتمام بالطب والأطباء لذلك أمر بترجمة الكثير من كتب الطب أما بقية الخلفاء فقد تربّوا ونشئوا في بيئات علمية أسهمت إسهاما كبيرا في حياتهم الفكرية على وجه العموم وفي الترجمة على وجه الخصوص.

ويعتبر الجدل الديني ثاني العوامل المؤثرة في نشأة وازدهار حركة الترجمة، حيث نشأ بين الفرق الإسلامية واستفحل في أواخر عهد الدولة الأموية وأوائل عهد الدولة العباسية، الأمر الذي جعل الناس يتحدثون في أمر القضاء والقدر ونحوه، فكثر الجدال بين المسلمين، ثم تجادل المسلمون والنصارى واليهود في أي الأديان أنفع وأفيد.[1]

حمل المعتزلة لواء الدفاع عن الإسلام وتصدوا للردّ على خصومه، علما بأن اليهود والنصارى تسلحوا بعلوم اليونان كالمنطق والفلسفة واستخدموا هذه العلوم في الجدل فأحس المسلمون بذلك، وهذا ما جعلهم في غاية الحرص على ترجمة علوم اليونان والاستفادة منها.

ويبدو مما سبق ذكره أن المعتزلة كان لهم الحظ الأوفر في ازدهار حركة الترجمة في الدولة الإسلامية وذلك لأنهم فتحوا النافذة الأولى التي دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علوم

[1] المرجع السابق، ص84.

اليونان بعد أن ترجموها إلى العربية وعملوا على فهم ما فيها ثم دافعوا بشدة عن الإسلام،[1] فالجدل الذي اتخذه المعتزلة لإقناع خصومهم جعلهم أشد حرصا على الاطلاع على علوم اليونان بعد ترجمتها ونشرها، وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون.

لعب اتساع الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول دورا كبيرا في ازدهار حركة الترجمة وذلك بضم الشعوب غير العربية للدولة الإسلامية، التي اعتنقت بدورها الإسلام وانتشرت بذلك اللغة العربية، لأنّ وحدة الدين استوجبت وحدة اللسان، وهذا ما جعل الشعوب غير العربية تقوم بنقل وترجمة علومها القديمة التي تتماشى وتعاليم الإسلام، ومن أشهر هذه الشعوب الفرس ومن أبرز علمائهم عبد الله بن المقفع الذي سطع نجمه في سماء حركة الترجمة والتأليف.[2]

كما يعد التطور الاقتصادي الذي عمّ جميع أرجاء الدولة آنذاك عاملا لا يستهان به في المساعدة على نشأة وازدهار حركة الترجمة، حيث كان العصر العباسي أول من شهد تطورا اقتصاديا عظيما لم يسبق له مثيل من قبل فقد ركّز العباسيون الأوائل على الزراعة كدعامة أساسية للاقتصاد وأعادوا للعراق شهرتها القديمة في مجال الزراعة وأيضا في مجال الصناعة والتجارة وأدى ذلك إلى توفير مبالغ طائلة من الأموال للدولة التي كانت من الأسباب المباشرة في تطور وازدهار حركة الترجمة والتأليف في الدولة، إذ نجد أنّ الخلفاء قد استخدموا تلك الأموال في جلب الكتب من أماكن بعيده وقدّموا حوافز للمترجمين، كذلك ساعدت حالة الدولة الاقتصادية بعض الفئات من أهل الثراء على المساهمة في تطوير

[1] المرجع السابق، ص 84.

[2] المرجع نفسه، ص85.

الترجمة، حيث تجدهم نهجوا النهج نفسه الذي انتهجه الخلفاء فأعطوا وبالغوا في العطاء للمترجمين أمثال بنو موسى وهم محمد وأحمد والحسن والذين قاموا بجلب الكتب النادرة من أماكن بعيده إلى بغداد وعملوا على ترجمتها.[1]

ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ العرب قد ترجموا عددا كبيرا من علوم اليونان ما عدا التاريخ والأدب مع أنهم نقلوا من الفارسية تواريخ الفرس وأخبار ملوكهم والسبب في ذلك قدم العلاقة بين الفرس والعرب فضلا عن ذلك تأثير ملوك الفرس في سير الأحداث التاريخية لدى العرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك لصلة الجوار بين الشعبين، أما الأدب فلم يهتم العرب بنقله عن اليونان وذلك لإعجابهم بشعرائهم وخطبائهم ولاعتقادهم أن لا أدب فوق أدبهم، وكانوا في ذلك العصر متصرفين إلى جمع أشعارهم وأخبار شعرائهم يتلقونها من أفواه الرواة زيادة على ذلك فإن نقلة اليونان لم يكونوا يحسنون العربية ليصطنعوا بها لغة أدب رصين بخلاف نقلة الفرس الذين كانوا يحسنون اللغة العربية كأبنائها. ثم إن مدارس سوريا والعراق ومصر كانت مهمتها الأساسية تدريس العلوم اليونانية من فلسفة وطب وحساب وغيرها ولم تدرس الأدب والتاريخ اليوناني حيث لا يوجد بين مترجمي السريان والنساطرة* إلا فيلسوف أو طبيب رياضي ولا تجد بينهما شاعرا أو كاتبا.[2]

---

[1] المرجع السابق ص85.

* النساطرة نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية، الذي عارض تعليم مجمع أفسس (سنة 431) حول لاهوت أمومة العذراء مريم، واستنكر تلقيبها بـ "أم الله" وفضل دعوتها بـ "أم المسيح" فحرم المجمع برئاسة بطريرك الإسكندرية كيرلّس ممثل البابا سيليستينوس الأول نسطور، فنفي إلى البتراء في بلاد العرب (سنة 436) وتوفي سنة 451.

[2] نصر الدين جار النبي سليمان، حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأوّل (132هـ-232هـ)، مرجع سابق، ص88.

2- دور الترجمة في نقل الأدب بين العرب والفرس:

لعبت حركة الترجمة في أوائل العصر العباسي وحتى وقتنا الحالي دورا لا يستهان به في نقل الأدبين الفارسي والعربي فيما بينهما، وهناك الكثير من الترجمات والأعمال الأدبية المشتركة بين الأمتين، كترجمة ابن المقفع لكتاب كليلة ودمنة.

وتقول نسرين شكيبي ممتاز في هذا الشأن: " أما في باب تبادل الترجمة بين اللغتين العربية والفارسية في تاريخنا المعاصر، فيجب ألا نتجاهل أسماء لأدباء مرموقين ومترجمين قديرين في أقطار البلاد ممن بادروا بهذه المهمة بمهارة بل وبشغف"[1].

ولا يفوتنا التطرق لبعض من ساهموا في اتساع دائرة الترجمة العربية إلى الفارسية والعكس أيضا، والتي لم تقتصر على الإيرانيين فقط.

ومن هؤلاء أرباب الترجمة إجمالا نذكر من أمثال الدكتور إبراهيم الدسوقي مُترجم "مثنوي"* جلال الدين الرومي والدكتور رامين البدوي مترجم "بوستان" سعدي شيرازي والدكتور إبراهيم الشواربي مُترجم "غزليات" حافظ الشيرازي وأحمد رامي لـ "رباعيات الخيام" والدكتور محمود سلامة علاوي الذي اختار الشعر الفارسي للترجمة والدكتور علاء الدين منصور والأستاذ القدير نور الدين عبد المنعم في جامعة الأزهر، الذين قطفوا جميعًا من ثمار الأدب الفارسي الناضجة وقدموها للقارئ العربي، كما لا أنسى جهود الدكتور يوسف عبد الفتاح فرج

[1] نسرين شكيبي ممتاز: حول ترجمة الأدب العربي للفارسيّة والعكس، ملخص لورقة بحثية قدمت في ندوة العربي "العرب يتجهون شرقا" – الكويت - يناير/كانون الثاني 2011.موقع ميدل إيست أونلاين، 2020/07/26،20:53، https://meo.news/%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%83%D8%B3/

* لمثنوي أو "مثنوي معنوي" بالفارسي، هو ديوان شعري باللغة الفارسية لجلال الدين الرومي. والمثنوي يعني بالعربية النظم المزدوج الذي يتّحد شطرا البيت الواحد ويكون لكل بيت قافيته الخاصّة، وبذلك تتحرر المنظومة من القافية الموحدة.

والدكتور فيكتور الكك وغيرهما ممن أضافوا لمكتبة قارئ الأدب العربي الفارسي نتاجاتهم الثقافية الرائعة وقاموا بخدمة تاريخية لا مثيل لها[1].

كما أشارت الكاتبة إلى اهتمام هؤلاء الأدباء بالأدب والشعر العربيين وكتبوا وترجموا عنه العديد من الاعمال لمجموعة من الادباء كنزار قباني وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش، ليشيدوا جسرا ثقافيا تعبر منه أفكار الأمم الأخرى.

وكم من مترجم عربي شارك مترجما ايرانيا في ترجمة النثر العربي أو الفارسي، ومن ذلك مشاركة غلام حسين يوسفي الايراني ويوسف بكار الاردني في ترجمة «قصتي مع الحب» للشاعر نزار قباني.

لقد أسهمت الترجمة كما ذكرنا سابقا في إرساء التداخل الثقافي بين العرب والفرس وتداخلت المصطلحات بين الأمتين وتقاربت الأفكار وأورد بعضهم أغراض بعض في الشّعر والرواية وغيرها من الأجناس الأدبيّة.

[1] المرجع السابق، موقع ميدل إيست أونلاين،

المبحث الثّاني: التأثير والتأثّر بين العرب والفرس

يساهم احتكاك أي أدب بالآداب والحضارات والثقافات الأخرى في ازدهاره، وجاءت نهضة العرب في الجاهلية نتيجة اختلاطهم والتقائهم بالأمم المجاورة بفضل التجارة وكذا الصراعات السياسية، من فرس وروما ن. كما حملت نهضتهم الثانية في العصرين الأموي والعباسي آثار المزيد من هذا الاحتكاك، مضافا إليها شعوبا أخرى في مصر وشمال أفريقيا والأندلس، وكانت نهضتهم الأخيرة التي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر ثمرة الاحتكاك بأوروبا. ولا يقتصر هذا الأمر على العرب فقط، فحضارة أوربا الحديثة جاءت وليدة اتصالها بالحضارة العربية التي بلغت أوجها في القرن العاشر الميلادي، وكان ذلك عن طريق الأندلس وصقلية والحروب الصليبية، فعرفت أوروبا علوم العرب وثقافتهم وآدابهم، وقاتلوهم واحتلوهم.

"ولا يقلل من شأن أي أدب قومي أن يستمد قوته من الآداب التي سبقته في الزمن والحضارة، لأن الإنسانية في تطورها نحو الأرقى متصلة الحلقات، وتقوم على استفادة الخلق من جهود السلف، وأن يبدأ أولئك حيث انتهى هؤلاء."[1]

[1] الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن: أصوله، تطوّره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص620.

- المطلب الأوّل: مفهوم التأثير والتأثّر

سنتطرق في هذا المطلب إلى مفهوم التأثير والتأثّر من زاوية مقارنة لارتباط هذين المفهومين بالدراسات المقارنة وبموضوع بحثنا، وكذا من زاوية لغويّة لأهميّة ربط المصطلح بأصله لمعرفة السياق الذي وضع فيه.

أ- لغة:

جاء في لسان العرب: "الأَثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور.

وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده.

وأُتَتَرْتُه وتَأَثَّرْته: تتبعت أَثره؛ عن الفارسي .

ويُقال: آثَرَ كذا وكذا بكذا وكذا أَي أَتْبَعه إِياه؛ ومنه قول متمم بن نويرة يصف الغيث:

فَآثَرَ سَيْلَ الوادِيَّيْنِ بِدِيمَةٍ تُرَشِّحُ وَسْمِيّاً من النَّبْتِ خِرْوعا

أَي أَتبع مطراً تقدم بديمة بعده.

والأَثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء.

والتأْثير: إِبْقاءُ الأَثر في الشيء.

وأَثَّرَ في الشيء، ترك فيه أَثراً.

والآثارُ: الأَعْلام.

والأَثِيرَةُ من الدوابّ: العظيمة الأَثَر في الأَرض بخفها أَو حافرها بَيِّنَة الإِثارَة.

وحكى اللحياني عن الكسائي: ما يُدْرى له أَيْنَ أَثَرٌ وما يدرى له ما أَثَرٌ أَي ما يدرى أَين

أَصله ولا ما أَصله."[1]

ب- اصطلاحا:

"اعتاد كثير من الباحثين في الأدب المقارن على دراسة التّأثر والتّأثير على أنّهما شيء واحد، في حين أنّهما -كما يرى آخرون وهو الأصح-مساران مختلفان لأن التّأثّر يكون في "المرسل إليه" من المرسل "والمرسل إليه" أو "المتقبل" تكون مصادر تأتيه من آداب أجنبية عن أدبه القومي وفي لغات أجنبية وهو يتأثر بكتاب أو أديب أو أدب بكامله، وليس من الضرورة أن تكون هذه المصادر من جنس النص المدروس، فقد يكون النص أدبيا والمصادر ليست أدبية.

أما التّأثير، فتتبعث دراسته عن عمل واحد أو مجموعات أعمال لأديب واحد أو بلد واحد وتكشف آثاره وإشعاعاته عند الآخرين وتسربه إلى آداب أجنبية.[2]

نستخلص ممّا سبق، أن التأثير والتأثّر مصطلحان رئيسيان في الدراسات المقارنة، ويقصد بهما ذلك الناتج الحاصل من جراء احتكاك أديب بأديب آخر، فيترك فيه ما يشابهه به أو يدفعه إلى نقده أو الإعراض عنه، فالتأثير والتأثّر قد يكونان بشكل إيجابي أو سلبي.

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، باب الهمزة، مادة "أثر"، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص25.

[2] يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1، 1996، ص63.

- المطلب الثّاني: مظاهر التّأثير والتّأثّر.

إنّ مظاهر التأثير والتأثّر غزيرة وكثيرة بين العرب والفرس، ونودّ هنا ابراز الجوانب التي شملها التأثير والتأثّر بين أدب وثقافة ودين الأمتين والتي لا تكاد تخفى على دارس اللغة والمجتمع، خصوصا بعد العصر العباسي الأوّل أين انتشرت الترجمة واشتدت فيه الروابط بين الأمتين واتسعت رقعة الدولة الإسلاميّة، ووصولا إلى الدّراسات النقدية والمقارنة في العصر الحديث.

أ- آثار العرب في الفرس:

نقل العرب ثقافة جديدة ودينا جديدا للأمم الأخرى بعد الصدام الحضاري الذي شهده العالم العربي مع تلك الأمم بسبب الفتوحات الإسلاميّة والتجارة وغيرها، مما جعلهم ينفتحون عليها ويخصونها بالدراسة والبحث، وكما هو معلوم فإن أقرب أمة للعرب كانت الفرس وصلاتهما ممتدة عبر التاريخ، وتشمل عدّة جوانب أهمها:

1- الجانب الأدبي:

يعود تأثير الأدبي العربي في الأدب الفارسي إلى القدم بشكل عميق وجليّ، فقد بينت الدراسات والأبحاث مدى ذلك من خلال الدراسات المقارنة، ونذكر هنا بعض مظاهر ذلك التأثير:

- تأثير أبي العلاء المعري في الشاعر عمر الخيام:

"ما من شك في أنّ الفرس كانوا شديدي الإعجاب بالشعر العربي، حتّى أنّهم نظموا ما يسمى "بالملّمع"*، وكان لشعراء العرب تأثيرهم على شعراء الفرس، ومن ذلك أثر أبي العلاء في

الخيام إذ يبدو أنّ روح الشّك والتشاؤم عند أبي العلاء قد تركت أثرها في شعر عمر الخيام".[1]

- تأثُّر "سعدي الشيرازي" بالأدب العربي:

حيث نظم السعدى في قصائد اللوامع المُشار إليها في الهامش، وألّف قصائد باللغة العربيّة مُراعِيا أغراض الشعر العربي من رثاء لبغداد وتغن بالخمرة والجمع بين الأغراض الشعريّة أحيانا أخرى، فيقول:

حبست بجفني المدامع لا تجري فلما طغى الماء استطال السكر

عفا الله ما مضى عنّا من جريمة ومنّ علينا بالجميل من الصبر

وصان بلاد المسلمين صيانة بدولة سلطان البلاد أبي بكر[2]

حيث نجده يعمد إلى أكثر من غرض في القصيدة الواحدة، وهو ما عرفته القصيدة الجاهلية من تعدد الأغراض والمواضيع في القصيدة الواحدة، وهو ما يسمى بوحدة البيت، فمثلا البيت الأوّل نجده للرثاء، ثم ينتقل إلى حالة النصح في البيت الثاني لينتهي إلى المدح بعدها.

- اتساع النثر الفارسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي:

قدّم الشعراء والكتاب والعلماء والأدباء الفرس إنتاجات علمية وأدبية ذات هدف، فغيّروا أساليبهم وابتعدوا عن البساطة القديمة في التعبير وتأثروا بالأساليب العربية، وبدأوا باستعمال الأسلوب المسجع المنمق السائد عند الكتاب العرب، وأدى ذلك إلى اشتقاق مصادر عربية

* الملمع: قصيدة يعمد فيها الشاعر إلى نظم بيت بالعربيّة يليه بيت بالفارسيّة أو العكس، مراعيا في الحالين أن تجيء الأفكار مترابطة مسلسلة كأنها بلغة واحدة.

[1] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفيّة عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص230.

[2] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشيرازي، الدار الثقافيّة للنشر، مصر، ط2، 2000، ص 91.

فارسية جديدة، وأصبحت اللغة الفارسية أكثر مرونة وثراء، ومن جهة أخرى ساد نوع من النثر المتكلف، المملوء بالتصنع، والتلاعب بالألفاظ، والمحسنات البديعية والمترادفات.[1]

- تأثّر الفرس بفن المقامة العربيّة:

تأثّر الحميدي بالحريري وتأليفه مقامات على شاكلتها حيث أشار صاحب كتاب خريدة القصر وجريدة العصر إلى سبب تأليف الحميدي للمقامات، فقال: "سأله بعض الأكابر الخراسانية أن يصنف بالفارسية مقامات على وزن الحريرية، فصنف كتابة مليحة، بديعة في فئة فصيحة، أتى فيه بكل صنعة غريبة، وبدعة عجيبة، ونوع مشاكل وسجع متقابل، ولفظ لا يلفظ، ومعنى لا يغلظ، ولطف تستعير منه الصبا وظرف يستعبر به الصبي، وقافية قافية آثار الحسن صافية كقطار المزن، وكلام كلام العذار عند العذري، ولام الفضفاض التّبعي، إذا سرد درس نظم، أو حرس سحر فهم. فالعقد ينفث فيها، والعقود منعت منها."[2]

وقد كان للعربية كبير الأثر في اللغة الفارسية، حيث كثرت الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية وأول ما دخل من هذه الألفاظ تلك المرتبطة بالإسلام والحياة الإسلامية الجديدة مثل: زكاة، حج، مسلم، جهاد، منافق، آية، كوثر، عقاب، ثواب، آدم، حواء، لعنة، جمعة، حلال، حرام، قرآن، بركة، مبارك ... وغيرها من الألفاظ التي لم يعهدها الفرس قبل الاسلام. وكذلك ظهرت ألفاظ أخرى تتصل بالتنظيم السياسي والإداري للدولة الإسلامية الجديدة، نذكر

[1] فرح ناز علي صفدر رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي، الحميدي والحريري خصوصا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، 2011، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص68.

منها على سبيل المثال: حرب، هيجا، غزا، غزو، غازي، حرس، شرطة، محتسب، كاتب، ملك مملكة، أمام، عضو، عامل، حاكم، حملة، مظلمة، مغرب ...[1]

2- الجانب الثقافي:

تميّز العرب بثقافة بدويّة خاصّة، بعيدة عن التحضّر وأشكال التمدن من قصور وغيرها، لكن بعد ولوج الإسلام واختلاط العرب بغيرهم ظهر لهم نمط خاص بهم و ثقافة جديدة مبنية على الابتكار، وهو ما تشهد عليه الآثار في الأندلس وبلاد المغرب وغيرها.

لقد دفع العرب الفرس إلى ترجمة الأعمال الأدبيّة وكتب الفلسفة والرياضيات وغيرها، ولما فتح المسلمون بلاد الفرس ودخلوا في قصورها رأوا فيها ما يزيّنها فزادوا عليه، وتعلّم منهم الفرس فنونا جديدة، يقول غوستاف لوبون (Gustave Le Bon): "اقتبس الفرس من العرب شكل قبابهم والنقوش المتدليّة (المقرنصات) وضروب الزينة كالكتابات"[2].

كما نقل الفرس عن العرب أشكال اللباس والزينة ورموزا اجتماعيّة كتشبيه المرأة بالقمر، وتغيرت أيضا بفضل انتشار الثقافة الإسلاميّة نظرتهم إلى المرأة في أوساط مجتمعاتهم.

3- الجانب الديني:

اشتهر الفرس بعبادة المظاهر الطبيعية، حيث جذبت أنظارهم السماء الصافية والضوء والنار والهواء والماء وجعلتهم يعبدونها على أنّها آلهة، حتى أطلقوا على الشمس اسم "عين الله"،

[1] طه ندا، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص72.

[2] غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط، 2013، ص198.

والضوء: "ابن الله"، كما أنهم كانوا يعتبرون الظلام من الكائنات الإلهية الشريرة والملعونة.[1]

يعدّ سلمان الفارسي رضي الله عنه من أوائل الفرس الذين حاولوا فتح الأبواب للإسلام، كونه تأثّر بأفكار النّبي محمد صلى الله عليه وسلّم ورأى في الإسلام خلاصه ونجاته. ثم ما لبث الإسلام أن عمّ بقاع الفرس جميعا، وكانت معركة القادسيّة أول معركة ينتصر فيها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم تواصل الفتح الإسلامي لباقي المناطق الفارسيّة.

دخل الفرس إلى الإسلام أفواجا أفواجا ليكتشفوا حقيقة ما كانوا يعيشون فيه من خرافات وديانات اعتنقوها وراثة لا عقلا أو قناعة، وحسبهم من عقلاء أن رؤوا العز في الإسلام فاتبعوه، فساهموا في نشره وركبوا الصفوف الأولى بعد أن هذّب أخلاقهم وكسّر أصنامهم، وأرشدهم إلى طريق النّجاة وأبعدهم عن مسلك الهلاك، وبقي صامدا حتى الساعة أمام المعتقدات الأخرى.

"بقي بعض المتمسكين –الفارسيين–بالزرادشتية* على دينهم ومعابدهم وتقاليدهم مقابل جِزْية يدفعونها للدولة، لكن "المانويين"* "والمدنيين" وأصحاب بقية العقائد الذين رفضوا الإسلام، اضطروا إلى إخفاء عقائدهم، وإظهار الإسلام لمواصلة العيش في المجتمع الإسلامي، فعُرِفوا في التاريخ الإسلامي بـ «الزنادقة». ولا شك في أن تأثير هؤلاء كان قويا في تسرب مفاهيم وأفكار معتقداتهم إلى الثقافة الإسلامية، وهو ما حاولت الدولة أن تواجهه، لكنها لم

[1] محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس، دار الفتح، بيروت، ط1، 1965، ص45.

تسلم من الخطأ في تشخيص حقائق معتقدات الناس، كما كانت تهمة الزندقة جاهزة للقضاء على كل من يعارض الحكام أو يخالف أفكارهم ومذاهبهم."[1]

ب- آثار الفرس في العرب

1- الجانب الأدبي:

مثلما تطرقنا إلى تأثر الفرس بالآداب العربيّة ومحاكاتها، لا بدّ لنا الآن من الحديث عن تأثر العرب بآداب الفرس، حيث نقل العرب عن الفرس أشكالا جديدة في الأدب منها "القصّة على لسان الحيوان"[2] ويتمثّل ذلك أساسا في ترجمة عبد الله بن المقفع لكتاب كليلة ودمنة من الفارسيّة إلى العربيّة، وبعدها صار العرب يُؤلّفون على شاكلتهم، كما نقل العديد من الشعراء فن الرّباعيات الشعريّة عن الشاعر عمر الخيام كالعقاد.

و لا يسعنا إغفال الحديث عن تلك المفردات والعبارات الفارسيّة التي وردت في أشعار العرب ونثرهم، والتي كانت عبارة عن أسماء ومفردات فقط وليست بأفعال أو حروف، عكس ما أخذته الفارسيّة عن العربيّة من عبارات وتراكيب،[3] ومن تلك المفردات نذكر: البستان،

* الديانة الزّرادشتية: وتعرف أحياناً بـ «المجوسية" نسبة لمؤسسها زرادشت ديانة فارسية قديمة، تعتبر أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم، تأسست منذ أكثر من 3000 سنة فيما يعرف اليوم بدولة إيران على تعاليم زرادشت يعتقد معتنقوها بوجود إله واحد أزلي هو أهور امزدا بمعنى "الإله الحكيم" وهو خالق الكون ويمثل الخير ولا يأتي منه الشر أبدا.

* المناويين: متبعو الديانة المانوية، وهي ديانة تنسب إلى ماني المولود في عام 216 م في بابل، والذي ظهر في زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور. وزعم أن الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى فنحى منحىً بين المجوسية والمسيحية.

[1] رشيد يلوح، التداخل الثقافي العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص118.

[2] تامر بن سليمان الحامد، تأثّر الأدب العربي بالآداب الأخرى، شبكة الألوكة، المملكة العربيّة السعوديّة، طبعة إلكترونيّة، 1433/1432، ص6.

[3] محمد نور الدين عبد المنعم: تأثير اللغة العربيّة في نشأة اللغة الفارسيّة الحديثة وتطوّرها، مجلة الفيصل، ع 258، دار الفيصل الثقافيّة، 1998، ص73.

القرنفل، الزنجبيل، الأباريق (جمع الإبريق)، الأقحوان...[1]

2- الجانب الثقافي:

نظرا لطبيعة الاتصال الذي حصل بين العرب والفرس بعد الفتح الإسلامي، والذي اتسم بالحيوية والعمق والتلاحم القوي بين الجنسين في ظلّ الإسلام، فقد كان التأثير المتبادل بينهما بنفس درجة القوة والاتساع، حيث أثرت الثقافة الفارسية الشعبية تأثيرا بعيدا في المحيط العربي، وبخاصة في مجالات المأكل والمشرب والملبس وبناء القصور، ونظام الخدم والحشم، والاحتفال بالأعياد، وهي المظاهر الحضارية التي بلغ فيها الفرس الذروة العليا.[2]

وانفتحت أمام العرب أبواب التراث الفارسي في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والآداب. ولا يفوتنا الحديث عن فضل الفرس على العرب، فبعد دخولهم في دين الله أفواجا، أصبحوا خير عون للعرب على نقل تراثهم إلى العربية ذلك أنهم عندما أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم حملوا معهم ثقافتهم ونقلوها إلى العربية أثناء إسهاماتهم في بناء المجتمع الجديد قبل أن تصبح الترجمة عملا رسميا.

كان إسهام الفرس في الثقافة العربية واسعا، بل إن انفتاح العرب على التراث الثقافي الفارسي كان عاملا مهما في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية وفي إثرائها، سواء من حيث الأساليب أو المحتوى الأدبي والفكري والفني عموما. فقد اهتم العرب اهتماما كبيراً بترجمة التراث الفارسي، وتحمل هذا العبء جيل كبير من العلماء منهم آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذي أكثر من ترجمة كتب الفلك الفارسية، وآل سهل وعلى رأسهم الفضل بن سهل،

[1] يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، مرجع سابق، ص109.

[2] محمد زرمان: الثقافة العربيّة الإسلاميّة وتجربة التفاعل مع الآخر، مرجع سابق، ص27

ومحمد بن جهم البرمكي، وزادويه بن شاهويه، وبهرام بن مردانشاه، وموسى بن عيسى الكسروي، وعمر بن الفرخان، وسهل بن هارون وغيرهم[1].

ومن جملة ما نقله هؤلاء العلماء عن الفارسية "أمثال بزر جمهر " و "عهد أردشير بن بابك إلى ابنه سابور "وكتاب " جاويدان خرد" في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق، وكتاب "هزار أفسانه " وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة ونقل أبان بن عبد الحميد سيرة أردشير وسيرة أنوشروان إلى العربية شعرا، وكان عبد الله بن المقفع زعيم المترجمين عن الفارسية قد نقل إلى العربية كتبا كثيرة أهمها:

- كتاب خداينامه أي كتاب الملوك وسماه "سير ملوك العجم "
- كتاب آيين نامه.
- كتاب كليلة ودمنة.
- كتاب مزدك.
- كتاب التاج في سيرة أنوشروان.
- كتاب الأدب الكبير.
- كتاب الأدب الصغير.
- كتاب اليتيمة في الرسائل.[2]

كما احتفل العرب ببعض الأعياد الفارسيّة مثل النوروز "وهو أكبر أعياد الفرس. وهو أول

[1] المرجع السابق، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص29.

أيام السّنة عندهم، ولهم في هذا العيد رسوم وتقاليد".[1]

3- الجانب الديني:

تمثّل التأثير الديني الفارسي في العرب أساسا في المجوسيّة، حيث كانت عبادة النار المعروفة "بالمجوسية" من بين العبادات التي اعتنقها بعض القبائل العربية؛ ومنهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة، ومنهم أيضا قوم الأقرع بن حابس أبو الأسود جد وكيع بن حسان. وقد انتقلت عبادة النار من بلاد الفرس إلى حليفتهم الحيرة التي تقع في شرق بلاد العرب، ذلك أن فريقا من المؤمنين بعبادة النّار انتقلوا إلى الحيرة ومارسوا طقوسهم في عبادتها، فلما رأى أهلها نارا تعظم وهم عاكفون على عبادتها سألوهم عن خبرها ووجه الحكمة من عبادتها، فأخبروهم بأشياء اجتذبت نفوسهم إلى عبادتها، وأنها واسطة بين الله وبين خلقه وأنّها من جنس الآلهة النورية.

ولما كانت مملكة الحيرة على اتصال دائم بباقي أنحاء جزيرة العرب من خلال القوافل التجارية وعقد الأسواق والروابط والتحالفات، فقد عرفت هذه العبادة طريقها إلى جهات متفرقة من بلاد العرب، فضلا عن الجاليات الفارسية المجوسية التي أقامت في المدن العربية الكبرى، وكانت تمثل حكوماتها لدى الملوك والأمراء وسادة القبائل العربية.[2]

[1] طه ندا: الأدب المقارن، مرجع سابق، ص222.

[2] محمود عرفة محمد، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينيّة وأهم مظاهر حضارتهم دار الثقافة العربيّة، مصر، دط، 2002، ص248.

– المطلب الثّالث: مضاهاة الحكم والآداب (التّأثّر المعاكس) وصورها

امتداد جذور التداخل بين العرب والفرس إلى كل الفنون ولم يسلم منها أي فن، فقد اهتم عقلاء الأمتين بكل نفيس وقطفوه يانعا، وشيّدوا بفضله حضارة لازالت تقدم للعالم الشفاء لكل داء، وما يدعى بالتداخل قد يكون في الواقع تكاملا.

كان يؤمن العقلاء من الأمتين العربيّة والفارسيّة أنّ الحكم والآداب هي الأساس الذي ينظم الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، ويقول حنا الفاخوري في هذا الشأن: "إنّ الحكم والآداب والأمثال من أدلّ الأمور على عقليّة الشعوب وعاداتها"[1]، وهذا ما دفعهم إلى تصنيفها وترجمتها عن بعضهم البعض وعن الأمم الأخرى،

لذا، ارتأينا في هذا المطلب أن نتبين انتقال الحكم والآداب بين الأمتين وصورها فيهما من جانبي الاقتباس تارة والتّرجمة تارة أخرى.

1- ما نقله ابن المقفع عن الفارسيّة إلى العربيّة:

جمع ابن المقفع بين الثقافات العربية والإسلامية والفارسية والهندية واليونانية، وقد نقل إلى العربية عن لغته خير ما عرف من الثقافات الأخرى، وكان للثقافة الفارسية الحظ الأوفر، فقد نقل عنها كتابا في تعاليم مزدك وكتاب "خداي نامه " وهو في سير الملوك الإيرانيين، وعليه اعتمد الفردوسي في نظم "الشاهنامه"، وكذلك نقل كتاب التاج في سيرة أنوشروان. ونقل عنها في أنظمة الملك وتدبير السياسة والحكم كتاب "آيين نامه"، "ورسالة تنسر،" وفي عيون الأخبار منهما ومن كتاب التاج نُقُول مختلفة. وكان في الفهلوية أدبا أخلاقيا كثيرا نما

[1] حنا الفاخوري: الحكم والأمثال، دار المعارف، مصر، ط4، 1980، ص6.

وترعرع في بلاط الساسانيين، وكان يُراد به تثقيف الفرس بما يوضح لهم سبل الحياة العامة عن طريق الأمثال وما تشفع به من الحكم، ونقل من ذلك ابن المقفع مادة غزيرة في الأدب الصغير والأدب الكبير واليتيمة ورسالة الصحابة. وعمد إلى خير أثر في لغته للهنود وهو كتاب كليلة ودمنة فنقله إلى العربية، كما نقل عن لغته بعض ما ترجم إليها عن اليونانية من كتب أرسطو في المقولات والقياس المنطقي.[1]

2- ما ألّفه ونقله سهل بن هارون على لسان الحيوان في باب الحكمة:

اشتهر سهل في زمانه بالحكمة والبلاغة حتى سماه معاصروه "بزر جمهر" الإسلام، إشارة إلى أنه يحل في العربية محل بزر جمهر في الفارسية وما أثر عنه من حكم وأمثال كثيرة، ووصفه الجاحظ فقال: "كان سهل سهلا في نفسه عتيق الوجه، حسن الشارة، بعيدة من الفدامة، تقضي له بالحكمة قبل الخبرة".[2]

ويظهر أنه عني في كثير من كتبه بالقصص على ألسنة الحيوان، مشاكلة لكتاب كليلة ودمنة، وكان من أهم ما وضعه في ذلك كتاباه: "ثعلة وعفراء" و"النمر والثعلب" ، وقد أشاد المسعودي بأولهما وقال إنه يزيد على كليلة ودمنة بحسن نظمه، وقد اتخذ من الحيوان وسيلة للموعظة والتربية الاجتماعية والسياسية بما يفصل من الكلام وضرب الحكم والأمثال بالضبط كما صنع واضع كليلة ودمنة، وخير مثال على ذلك هذه النصيحة التي وردت في كتاب "ثعلة وعفراء":

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الأول–، دار المعارف، مصر، ط16، 2004، ص511.
[2] المرجع نفسه، ص527.

"واجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من تفضلكم، فإن تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظهر على وهن العقيدة وتقصير الروية، ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة[1]."

ويقول الحصري بعد ذكره لهذه النصيحة: "إن هذا الكتاب مملوء حكما وعلما، وعثر السيد عبد القادر المهيري حديثا على كتاب النمر والثعلب، ونشر مقتطفات منه مع مقدمة في العدد الأول من حولية الجامعة التونسية، والكتاب، أو بعبارة أدق القصة تدور على ثلاث شخصيات هي الثعلب الحكيم والذئب الجحود والنمر الطاغي.[2]

ويظهر لنا من خلال هذه القصّة توجيه للساسة والعامّة بعاقبة الطغيان، وانتصار الحكيم والمظلوم، وهذا الكلام كان موجّها للعربي نقلا عن الفارسيّة التي اشتهرت بهذا الفنّ.

3- تأثّر جلال الدّين الرّومي بالمتنبي:

ذلك أنّ المتنبي كان حكيما أكثر من كونه شاعرا، فقد "قيل لأبي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر: أبو تمام، أم البحتري أم المتنبي؟ فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان، أما الشاعر فالبحتري."[3]

وبحث عن هذه الحكمة المتصوفة وعلى رأسهم جلال الدّين الرومي الذي تأثر بالكثير من الأدباء الصوفيين والشعراء، منهم الشاعر المتنبي الذي حطمت شهرته حدود الأزمنة

[1] المرجع السابق، ص 530

[2] المرجع نفسه، ص530.

[3] كامل سليمان الجبوري: معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى 2002، مج6، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص110.

بحكمته، فقد زين المتنبي المحافل والمجالس والكتب بأقواله الحكمية، التي جرت مجرى الأمثال بين الناس. وكان جلال الدين الرومي مغرما به، وتأثر بأفكاره ومعاني أشعاره.[1]

ومن أمثلة ما ضاهى به إمام المتصوفة الحكيم المتنبي نذكر:

يقول جلال الدين الرومي:

كه رعيت دى شه دارند و بس ابن چنين فرمود سلطان عبس

وترجمته:

"فالرعية على دين ملوكها فحسب، هكذا قال السلطان الذي نزلت عليه عبس"[2]

وجاء في شعر المتنبي:

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

وجاء معنى هذا البيت واضحا وسلسا كمعظم شعر المتنبي، وهو يقصد به أنّه لا يمكن لأي أمة أن تُفلِح إذا احتلها أجنبي وحكمها، لسبب هو أن الأجنبي المحتل يبحث عن مصلحته أولا ويجعل الأمة ضعيفة متفرقة حتى يضمن ديمومة بقائه على رأسها.

لهذا فإن الإنسان الواعي وصاحب الفضائل لا يولى عليه من هو على خلاف ذلك، والإنسان هو مسؤول عن اختيار من ينقاد إليه في تدبير أموره.[3]

كانت هذه نماذج من مضاهاة الحكم والآداب بين العرب والفرس، ونستخلص من خلالها أنّ

---

[1] فرح ناز رفعت جو، العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي دار الهادي للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص409.

2 المرجع نفسه، ص402.

[3] المرجع نفسه، ص403.

الأمراء والخلفاء استعانوا بهذا النتاج الحكيم في تربيّة أبنائهم وإثراء بيت الحكمة، كما فتح ذلك الباب أمام محاولات جليلة للتصنيف والإبداع.

– المطلب الرابع: أشهر الأدباء العرب الذين تأثّروا بالأدب الفارسي

ساهم التداخل الثقافي والاجتماعي والديني والأدبي بين العرب والفرس في خلق طبقة من الشعراء والأدباء المتأثرين بالآداب الفارسيّة، حيث درسوها وأخذوا عنها ثمارها اليانعة، والجدير بالذكر أنّ هذا التأثر شمل أشكالا عديدة من الأدب كالحكايّة على لسان الحيوان، وممن تأثروا بها نجد:

– **سهل بن هارون:** وهو المكنى بأبي عمر، اتصل بالمأمون فولاّه خزانة الحكمة وكان أديبا شاعرا حكيما، وكان الجاحظ كثيرا ما يحكي عنه ويصف براعته ويثني على فصاحته، وقد اشتهر بالبخل وله في ذلك أخبار كثيرة.[1]

– **علي بن عبيدة، أبو الحسن الكاتب المعروف بالريحاني:** كان أحد البلغاء الفصحاء، وافر الأدب، كثير الفضل، مليح اللفظ، حسن العبارة، وله كتب حسان في الحكم والأمثال والقصص على لسان الحيوان، وكان له اختصاص بالمأمون، وكان يرمى بالزندقة، روى عنه أحمد بن أبي طاهر، وغيره.[2]

– **علي بن داود:** أبو الحسن التميمي القنطري.[3]

كما نجد الكثير من الشعراء العرب الذين نهلوا من أدب الفرس ولغتهم أمثال البحتري وأبي تمام وأبي نواس بشكل خاص، إذ افتخر بهم في العديد من أشعاره لنسبه فيهم، كما تأثّرت جماعة الديوان وبخاصّة المازني والعقاد بعمر الخيام ونظموا على شاكلته في فن الرباعيات

[1] ثامر سليمان الحامد، تأثّر الأدب العربي بالآداب الأخرى، مرجع سابق، ص6.

[2] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تح بشار عوار معروف، ج13، دار الغرب الإسلامي، ، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص364.

[3] المرجع نفسه، ص373.

وجددوا أوزان الشعر، وغيرهم كإليا أبو ماضي من الذين سيتم التطرّق إليهم في الجانب التطبيقي.

خلاصة :

يعود الاتصال العربي الفارسي إلى أعماق التاريخ، هذا الاتصال الذي ولّد مجموعة من الصلات الأدبيّة والثقافيّة والدينيّة بين الأمتين، وقد اشتد هذا الاتصال والتداخل في زمن الفتوحات الإسلاميّة حين اتسعت رقعة الدولة الإسلاميّة وحظيت خلاله اللغة العربيّة بعناية كبيرة سعيا إلى حفظ الدين من لسان الأعاجم، كما وجد العرب أنفسهم أمام تراث ثقافي وعلمي فارسي هائل، استدعت الضرورة الفكريّة والتجاريّة والثقافيّة إلى قطف ثماره اليانعة، وكان ذلك أيام الدولة العباسيّة حين كان بيت الحكمة مهدا لقيام ثقافة عربيّة جديدة أغلب ما ميّزها هو حركة الترجمة الكبيرة للتراث الفارسي في ميدان الآداب والعلوم، وعرف من خلالها العقل العربي تأثّرا غير مسبوق بأفكار الفرس وآدابهم وعلومهم وثقافتهم بعد الانغلاق الذي لزم الأمّة العربيّة منذ زمن الجاهليّة حين عكفوا على الشّعر وتأليفه، وفي زمن النبوّة في كتابة القرآن الكريم فقط، وبعدها الحديث وكتب النّحو.

وقد ظهر في العصر العباسي الأوّل اهتمام لم يسبق له مثيل بالفلسفة والمنطق للرّد على المشككين في الدين والمجادلين في صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلّم.

كما انتج التداخل العربي الفارسي جيلا من المثقفين والأدباء بفكر وفنّ جديدين، حيث أخذ الفرس عن العرب أوزان الشّعر وزادوا عليها، وفنّ المقامة والحكم والآداب وأدب الرّحلة، وتأثّر العرب بدورهم بالصوّر الجماليّة والفنيّة وزخرف القول وألوان البيان والبديع، وضمنوا أشعارهم من الألفاظ الفارسيّة ما يختصّ بالأسماء فقط دون العبارات والجمل، في حين اضطر الفرس إلى اقتراض ألفاظ وعبارات وتراكيب من اللغة العربيّة.

يمكن القول أنّ هذا التداخل قد أثّر على الأدب العربي في جملة من الأمور نذكر منها:

- تراجع مستوى الفصاحة العربية بعد الاختلاط بالأعاجم.
- تراجع جودة الشعر العربي عمّا كان عليه في الجاهليّة وصدر الإسلام.
- الاتجاه إلى أغراض شعريّة جديدة كمدح القصور والابتعاد عن المقدمات الطلليّة.
- شيوع الزندقة والتشيّع خاصّة من الفرس المعرّبين.
- انتشار مجالس المناظرة وظهور الفرق الكلاميّة كالمعتزلة وعلماء الكلام.
- تكوين ثقافة عربيّة جديدة متأثّرة بالفرس في المأكل والمشرب والملبس والبناء.

وعموما فهناك ما لا مجال لحصره من صور التأثير والتأثّر العربي والفارسي وحاولنا خلال هذا الفصل إلقاء الضوء عن أبرز صور هذا التأثير والتأثّر.

الفصل الثاني

رباعيات عمر الخيام أنموذجا

تمهيد

المبحث الأوّل: رباعيات الخيام

- المطلب الأوّل: مفهوم الرباعيات
- المطلب الثّاني: أقسام رباعيات الخيام

المبحث الثاني: تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام

- المطلب الأول: نماذج عن تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام
- المطلب الثاني: نموذج تحليل ومقارنة لرباعية من رباعيات الخيام مع شعر إيليا أبو ماضي

خلاصة

خاتمة.

تمهيد:

سنسعى في هذا الفصل إلى إبراز مظاهر التأثير والتأثر التي عرفتها الدراسات المقارنة وشهدها الأدب العربي باحتكاكه بالآداب الأخرى، الأمر الذي فتح المجال واسعا أمام الكثير من الأدباء لينهلوا من آداب الأمم الأخرى وخاصة أمة الفرس كونها المعنية بالذكر في هذا الفصل، فاختار هؤلاء الأدباء لأنفسهم نماذج أدبية يحتذون حذوها ويجارونها في الشكل والمضمون، وقد كان لأمة الفرس نماذج تستحق أن تكون قدوة للأدباء الذين عاصروهم أو جاؤوا بعدهم، على سبيل الذكر لا الحصر نُورد الشاعر والحكيم والفيلسوف عمر الخيام الذي تمكّن بشخصيته الفذة وأفكاره من صناعة نموذج شعري خاص يُسمى بالرباعيات من حيث الشكل، وممزوجا بالأفكار الفلسفية والأدبية الجديرة بالدراسة والبحث، كما سنتحدث أيضا في فصلنا هذا عن الشاعر عمر الخيام ونذكر أهم الأدباء العرب الذين تأثروا به مُوثقين مواضع تأثيره فيهم بنموذج شعري تم تحليله أسلوبيا وبلاغيا.

المبحث الأول: رباعيات الخيام

-المطلب الأوّل: مفهوم الرباعيات

1- لغة:

جاء في معجم الوسيط: رَبّعَ الشيء: جعله مربعا وجعله أربعة أجزاء، وربّع فلان رجليه ثناهما وهو جالس فصارت أربعا.

ورُباعَ: أربعةً أربعة، معدول عن أربعة أربعة بالتكرار، يستوي فيها المذكر والمؤنث، وهي ممنوعة من الصرف اصطفَّ الجنودُ رُباعَ،

ويُقال جاء القوم رباع: أربعة أربعة.

والرباعيّة (في الشعر): منظومة شعرية، تتألّف من وحدات، كلّ وحدة منها أربعة أشطر تستقل بقافيتها، وتسمى في الشعر الفارسي (بالدوبيت)[1].

وجاء في لسان العرب ". رُباعُ: مَعْدولٌ من أربعةٍ أربعةٍ.

{مَثْنَى وثُلاثِ ورُباعَ}: أربعاً أربعاً، فَعَدَلَه، فلذلك تُرِكَ صَرْفُه، وقَرَأ الأَعْمَشُ

{ورُبَعَ}، على إرادَةِ: رُباعَ.[2]

لا يخرج المعنى اللغوي لكلمة رباع عن العدد أربعة والمقصود منه أربعة أربعة، ومنه سميّت كل أربعة أبيات من الشعر برباعيّة، والخمسة بخماسيّة...

[1] مجمع اللغة العربيّة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط5، 2011، ص226.

[2] ابن منظور، لسان العرب، باب الراء، مادة ربع، ص1562.

2- اصطلاحا:

- رباعيات الخيام:

لم يُؤثر عن الخيام من منظوم في الفارسية إلا بعض مقطعات تسمى بالرباعيات، لأن بعضها مؤلف من أربعة أشطر جميعها على قافية واحدة، والبعض الآخر من أربعة أيضا الأولان والأخير منها على القافية نفسها والثالث مستقل تماما.

فمثال الضّرب الأول:

1- مائيم وَمي ومَصْطبة وتون خراب

2- فارغ زاميد رحمت وبيم عذاب.

3- جان ودل وجام وجامه پردرد شراب

4- آزاد زخاك وباد اوز آتش وآب.

وترجمتها الحرفية:

1- هُو ذا نحن وهو ذا الحر ودَكَّةُ الشّرب والكانون الخَرِب.

2- وغير مُكترثين بالرَّحمة ولا بخوفِ العذاب

3- هاك نفوسَنا وقلوبنا وكؤُوسنا وأثوابنا مملوءة بثفل الخمر

4- وها كُنا مُستقلين عن التّراب والهواء والنار والماء.[1]

[1] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب: وديع البستاني، مرجع سابق، ص17.

ومثال الضَّرب الثاني:

1- قرآن كه مهين كلام خوانند اورا.

2- كه كاه نه بر دوام خوانند اورا.

3- در خط پياله آيتي هست مقيم.

4- كاندر همه جا مدام خوانند اورا.

وهذه ترجمها:

1- أما القرآنُ الذَّي يسمونَه الكلامَ العُلوي المنزّل

2- فيقرؤونه في الفترات وليسَ على الدوام.

3- وأما الآيةُ المحفورةُ على حافةِ الكاس

4- فتلك يقرؤونها في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ.[1]

وقد اخترنا هذين المثالين بيانًا لماهيّة الرباعية الفارسيَّة، وهما السابعةُ والسادسةُ في أقدم نسخة خطية. ولكن لننظر إليهما ثانيةً من الوجهةِ المعنوية، فنرى أن ذكر الخمرة في الأولى وذكرها في الثانية ليس على وتيرة واحدة. ويمكننا أن نسمي أمثال هذا الاختلاف بالتناقض الكلي وهو كثيرا ما نجده، فليس قليلا ما نجد الرباعية الكفرية نسبة إلى مغزاها، تلو الرباعية الابتهالية نسبة إلى فحواها، فنحار في أمر الخيام، ويتراوح حكمنا فيه بين النَّقيضين، شكِّه ويقينه، وكفره ودِينه. فلا بد إذن من كلمة في الرباعيات وتاريخها. فإنها مجموعة أفكار

[1] المرجع السابق، ص18.

تناقلها العصور ولعبت بها الأغراضُ والأهواء كل ملعب؛ وقد اعتراها من الحذف والإبدال، وشَابَها من المكر والدَّخيل، ما ترك أمرها مجالاً للبحثِ والتَّنقيب، ومضماراً يتبارى فيه أدباء الغربيين أيّما مباراة.[1]

وها قد مضى نحو نصف قرن وهم يستقصون أخبارها، ويقصّون آثارَها، وللآن لم تعثر أيديهم على النُّسخة الاصلية منها، وأقدم نسخة وجدوها هي النسخة المنسوبة إلى سرارسلي المحفوظة في مكتبة بوالدين (Bodleian Library/ bibliothèque de Bodley) بـ أكسفورد (Oxford)، وفيها 158 رباعية فقط.

وكيف لا نتعجب بسماعنا أنّه توجد بجامعة كمبردج (Cambridge) نسخة أخرى أثبت فيها 800 رباعة ورباعية؟ أما النسخة الأوسلية فمع أنّها الأقدم والأقرب إلى زمن الخيام، فإنها مكتوبة منذ سنة 1461 أي بعده بثلاثة قرون ونصف تقريبا. ويوجد في المكتبة الأهلية بباريس نسخة تتضمن 349 رباعية، وهي أحدث من الأوسلية ومكتوبة في أوائل القرن السادس عشر (1528م). وفي المكتبة العمومية في بنكيبور (Bankipore/Bankipur) نسخة عدد رباعياتها 604. وهنالك نسخ كثيرة مختلفة في عدد رباعياتها ونوعها منذ القرنين 17 و18.[2]

وقد كاد يرسخ في أذهان عشاق الرباعيات أنّ كلَّ مجموعة منسوبة إلى عمر الخيام هي من نفثات يراع ذلك الرياضي الفلكي الفيلسوف الشاعر، لولا أنه ظهر عام 1897 مقال للأستاذ

[1] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب: وديع البستاني، مرجع سابق، ص19

[2] المرجع نفسه، ص19.

الروسي شكوفسكي (Schokovski) أثبت فيه أنّ 82 منها واردة في دواوين غيره من شعراء الفرس، وأن نحو نصف هذا العدد لثلاثة من كبارهم، هم فريد الدين العطار، وحافظ، وجلال الدين الرومي، وأما النصف الآخر فلأربعين آخرين كأبي سعيد وابن سينا والفردوسي وأنوري وعبدالله الأنصاري، وقد لقبوها بـ "الرباعيات المتشردة". والظاهر أن مورديها في نسخهم كانوا يجدونها تشبه الرباعيات الخيامية فيضيفونها إليها بقصد أو بغير قصد، ولقد زاد عددها منذ ظهور ذلك المقال فبلغ 101 ولعلَّ مواصلة البحث في هذا السَّبيل منتهية بالقوم إلى تمييز الرباعيات العُمرية الحقيقة وفرزها عما سواها.[1]

أما عدد الرباعيات المنسوبة إليه ممّا ورد في النسخ الخطية فـ 1200، نحو 1040 منها مستقلة بمعناها بعض الاستقلال بحيث يمكن اعتبارُها كرباعيات مختلفة. وأما الرباعيات التي لا ريب ولا نزاع في نسبها اليه فلا تنيف عن 11. وهي التي أردفها باسمه من ذكره من معاصريه في آثارهم الباقية حتى اليوم.

وهناك اثنين من أهم الأسباب المرجَّحة لكثرة الدَّخيل والمكرر: أمّا الأوّل فهو أنّه كان لعمر ككل صاحب رأي ومذهب أتباع وأشياع يدافعون عنه ويغارون عليه، وخصوم وأضدادٌ يبغِّضون به ويقدحون فيه؛ فكان الراضون عنه ينسبون إليه من نمط الرباعيات التي لا غبار عليها ولا تثريب، كالتي يُزهِّد فيها بالدنيا وحطامها ويظهر فيها بمظهر الورع المتعبد. وكان الممتعضون منه يلصقون به من عِندِيَّاتهم ومخلقاتهم رباعيات لا يُشتمُّ منها إلا رائحةُ الخمر والكفر معًا. وقد ذكر ابن القفطي أنّ الصوفيين نقلوا الرباعيات إلى طريقتهم، ولا شك أنهم

[1] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب: وديع البستاني، مرجع سابق، ص20.

حوّروها وزادوا فيها حسبما شاءوا وشاءت مقاصدُهم وأغراضهم. وأما السّبب الثّاني فهو أن النُّساخ على ما يظهر كانوا يتقاضون أجرة الخطِّ عن كل رباعية على حدة؛ فكان يهمهم إذا أن يزيدوها ويكثِّروها طمعا بزيادة الأجر. وكلا السَّببين معقولٌ مقبولٌ، ولاسيما هذا الأخير، لأن النّاظر إلى تلك النسخ ليدهش لجميل خطها وبديع زخرفها؛ ولا عجب فمقتنوها كانوا أمراء زمانهم، وملوك فارس وسلاطينها منذ عهد الخيام حتى العصور المتأخرة.[1]

ونحن اليوم في عصر لا يُنظر فيه إلى من قال بل إلى ما قيل؛ وحسبنا من هذه الرباعيات أنّها مجموعة خواطر شعرية، وسجل أقوال فلسفية، نقرؤها فيما نقرأ ونُطالع من الأدبيات الفارسية؛ وحبذا لو كثر لدينا المنقولُ منها.[2]

- الرباعيات في اللغات الغربيّة:

يعدّ "توماس هيد"* (Thomas Hyde)، الذي كان أستاذاً للغتين العربية والعبرانية جامعة أكسفورد، أوّل غربي ذكر عمر الخيام سنة 1700، ثم تلاه المستشرق النمساوي "جوزيف فون هامر برجشتال" (Joseph von Hammer-Purgstall) الذي ترجم بضعة رباعيات عام 1818م.

أما الشاعر الانكليزي إدوارد فتزجيرالد (Edward FitzGerald) فهو الذي استوحى الخيام روحه، ونظم رباعياته في رباعيات انكليزية خلّدت اسمه في تاريخ الآداب الغربية، وطيرت شهرته في إنجلترا وأميركا وأوروبا؛ ولا بِدْعَ أنّ لقّبوه بعمر الخيام الغربي كما فعلوا.[1]

[1] المرجع السابق، ص21.

[2] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب: وديع البستاني، مرجع سابق، ص22.

* توماس هايد (29 يونيو 1636 – 18 فبراير 1703) مستشرق وعالم لغويات إنجليزي.

ظهرت رباعيات فتزجيرالد (FitzGerald) لأوّل مرّة في أواسط يناير سنة 1859، فلم تلق أي استقبال من القُراء، بل نُشرت فطُويّت وأُلقيّت في زوايا النّسيان، وأُهملت وأُغفلت حتى كاد يقضى عليها بالموت (وقد قُدِّر لها الخلود) لولا أن بعض أدباء ذلك العصر قاموا بكتابة مقالات ضافية الذيول في شأنها ومقامها بين الآثار الأدبيّة، فتنبهت الخواطر إليها بعض الشيء، وتاقت اليها الأنفس بعض التوق. فبعد أن كانت تلك الكتيبات تُعرض للبيع بمليمين ونصف ولا يقبل عليها أحد، أصبحت بعد حين وكثير من يبذل العشرين جنيها فلا يجد منها نسخة واحدة.

وظهرت في حوالي سنة 1869 الطّبعة الثّانية منها مُضاف إليها بضعة رباعيات جديدة، ولم تمر إلاّ بعض السنوات حتى تلتها طبعة ثالثة.

وبلغت من عمرها ربع قرن فحيّاها **تنسون** بقصيدة كان لها من الرّنة في القلوب والوقع في النّفوس ما حرّك السواكن وأثار الخوامد وأحيا الجوامد، فاستيقظ النائمون، وانتبه الغافلون، وأقبلوا على تلك المنظومة يعظمونها قدرا. ويبدوا لنا أنهم لم يبخلوا ولم يقصروا في تعويضها مما فاتها، إذ أنّهم لم يكتفوا بأن أحيوها بل خلدوها بعد مماتها. وعاش فتزجيرالد (FitzGerald) حتى عاد فهذبها ونقحها مرة رابعة، ومات قرير العين مطيب النفس.[2]

[1] المرجع السابق، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص24.

- التعريبات والترجمات العربيّة لرباعيات الخيام:

صادفتنا ونحن نقوم ببحثنا هذا مجموعة من الترجمات للغة العربيّة لرباعيات الخيام التي ساعدتنا كثيرا في معرفة الخلفيّة الفكريّة والأدبيّة لعمر الخيام، وقد أوردت أغلب هذه الترجمات جانبا من حياته وما أثير حوله من جدل، وكذا ما أنجزه في حياته، لذا ارتأينا أنّ نخصص هذا العنصر لذكر بعض من هذه الترجمات:

- رباعيات عمر الخيام: تعريب السيّد أحمد الصافي النجفي.

- رباعيات الخيام: محمد السباعي الذي صدرت ترجمته عام 1922.

- رباعيات عمر الخيام: ترجمة مصطفى وهبي التل.

- رباعيات عمر الخيام: تعريب وديع البستاني.

- رباعيات الخيام: ترجمة أحمد رامي.

وهناك العديد من التّرجمات الأخرى للكتّاب التالية أسماؤهم: أحمد زكي أبو شادي، إبراهيم المازني، علي محمود طه، عباس العقاد...

ما يمكن استنتاجه مما سبق ذكره أنّه لرباعيات الخيام شأن كبير ذلك أنّها من أكثر الأعمال الشعريّة التي ترجمت إلى الكثير من لغات العالم ولعلنا نجد الكثير من الترجمات في اللغة الواحدة كما هو الشأن بالنسبة للغة العربيّة والانجليزيّة.

- المطلب الثّاني: أقسام رباعيات الخيام:

يُمكن للمطلع على رباعيات الخيام أن يُلاحظ مجالا محددا يحوم حوله نظمه، ومن الممكن تحديد ذلك في أربعة أقسام، وسنقوم بتقديم مثال على الأقل عن كل قسم من رباعياته المعرّبة، ويليها بعد ذلك بعض الأقسام الأخرى، والأقسام كالآتي:

أ- القسم الأوّل:

يشتمل على مضامين تدور حول الدنيا وغدرها، العمر وقصره، التحسر على عهد الشّباب وافتقاد النشاط والجمال، والكآبة في الحياة.[1]

ومما نسب إليه في الدنيا وغدرها قوله:

لاَ يُوْرِثُ الدَّهْرُ إلاَّ الْهَمَّ وَالْكَمَدَا وَالْيَوْمَ إِنْ يُعْطِ شَيْئاً يَسْتَلِبْهُ غَدَا

مَنْ لَمْ يَجِيْئُوا لِهَذَا الدَّهْرِ لَوْ عَلِمُوا مَاذَا نُكَابِدُ مِنْهُ مَا أَتَوْا أَبَدَا[2]

ومما نسب إليه في التحسّر على ضياع عمر الشّباب قوله:

قَدِ انْطَوَى سِفْرُ الشَبَابِ وَاغْتَدَى رَبِيعُ أَفْرَاحِي شِتَاءً مُجْدِبا

لَهَفِي لِطَيْرٍ كَانَ يُدْعَى بِالصِبَا مَتَى أَتَى وَأَيَّ وَقْتٍ ذَهَبَا[3]

ومما نسب إليه في الحديث عن انقضاء العمر وزوال الحياة قوله:

[1] تغريد زعيميان: الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص85.

[2] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مكتبة الفكر الجديد، طهران، إيران، دط، دت، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص7.

إِنْ مُتُّ فَاكْتُمُوا رُفَاتِي وَاجْعَلُوا آخِرَ أَمْرِي عِظَةً بَيْنَ الْمَلاَ

وَبِالطِّلاَ امْزُجُوا ثَرَايَ وَاصْنَعُوا مِنْ طِينِهِ غِطَاءَ رَاقُودِ الطِّلاَ.[1]

ب-القسم الثّاني:

من أقسام الرباعيات المنسوبة إلى الخيام تلك الرباعيات التي تتناول قضية عجز الإنسان عن معرفة الأسرار والحقائق وجهله بها وقد تنتهي به إلى (اللا أدرية*)(Agnosticisme).[2]

ومن الرباعيات المنسوبة إليه في هذا الجانب قوله:

لَيسَ يَدْرِي سِرَّ الْوُجُودِ ابْنُ أُنْثَى وَبِتَكْوِينِهِ تَحَارُ الْعُقُولُ

مَا أَرَى لِلْفَتَى سِوَى الرَّمْسِ مَثْوىً وَهْوَ لَهْفِي حِكَايَةٌ سَتَطُوْلُ.[3]

ت-القسم الثّالث:

هي تلك الرباعيات التي تدعو إلى اكتساب الملذات والتمتع في الحياة، وقد نجد بين شطور كلّ رباعيّة ما هو مفيد بحال الإنسان، لأنه فيه تحذير له من كل الأسباب التي تُؤدي إلى توتر حالاته النفسيّة والإحساس بالضيق، وكذلك فيه دعوة للتمتع بطيبات الله في حدودها المطلوبة، ونجد أيضا ما هو مضر، ولا يرى في الحياة غاية إلّا اللّذة باعتبار أنها تجعل

[1] المرجع السابق، ص 89.

* اللاأدرية: توجه فلسفي يُؤمن بأن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها، خاصة تلك المتعلقة بالقضايا الدينية وجود الله وعدَمِه وما وراء الطبيعة، والتي تُعتبر غامضة ولا يمكن معرفتها.

[2] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص87.

[3] رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مرجع سابق، ص89.

الإنسان لا يعي ما حوله في هذا العالم.[1]

ومن الرباعيات المفيدة والمنسوبة إليه قوله:

إِذَا العُمْرُ يَمْضِي فَلْيَرُقْ لِيَ أَوْ يَسُؤ وَسَيَّانِ إِنْ أَهْلِكَ بِبَغْدَادَ أَوْ بَلْخِ

فَقُمْ وَاحْسُهَا فَالشَّهْرُ كَمْ بَعْدَ سَلْخِهِ إِلَى غُرَّةٍ يَمْضِي وَمِنْهَا إِلَى سَلْخِ[2].

ومن الرباعيات المنسوبة إليه في الاستمتاع بالحياة وعدم تأجيل الملذات وشرب الخمر قوله:

سَأَطْوِيَنْ صَاحِ أَعْلاَمَ النِّفَاقِ غَداً وَأَقْصُدَنَّ بِشَيْبِي الرَّاحَ وَالْحَانَا

بَلَغْتُ سَبْعِينَ حَوْلاً كَامِلاً فَمَتَى أَلْقَى الْهَنَاءَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُ الآنَا ؟[3]

ث-القسم الرابع:

وهي تلك الرباعيات التي تحتوي على مضامين تبدو غير عقلانيّة إذا ما قمنا بمقارنتها بفلسفة الخيام ومذهبه الخاص فيها وهي التي تدلّ على العبثيّة في الحياة.[4]

ومن الرباعيات المنسوبة إليه في هذا القسم قوله:

حَتَّى مَ أَبْنِي عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ لَقَدْ سَئِمْتُ دَيْراً وَعُبَّاداً لأَوْثَانِ

مَنْ قَالَ إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ وَمَنْ أَتَى مِنَ الْخُلْدِ أَوْ وَلَّى لِنِيرَانِ ؟[5]

[1] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص89.

[2] رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مرجع سابق، ص29

[3] المرجع نفسه، ص120.

[4] تغريد زعيميان، المرجع السابق، ص 91

[5] رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص122

وإن كانت رباعيات الخيام تتمحور في هذه الأقسام الأربعة السالفة الذكر، فإن هناك فروعاً لهذه الأصول عبّر الخيام فيها عن فكره وفلسفته في الحياة ومنها:

I- وجوب الإيمان بالعقل:

فمن الرباعيات المنسوبة إلى الخيام في هذا الموضوع الدالّة على تّأييد هذا الوجوب، قوله:[1]

إِذَا ازْدَانَتِ الدُّنْيَا لَدَيْكَ فَلاَ تَثِقْ بِمَا لَمْ يَثِقْ فِيهِ لَبِيبُ وَكَيِّسُ

فَمِثْلُكَ كَمْ آتٍ إِلَيْهَا وَذَاهِبٍ فَقُمْ وَاخْتَلِسْ حَظاً بِهَا فَسَتُخْلَسُ[2]

ومنها ما يدلّ على عدم وجود الإيمان بالعقل كقوله:

إِنَّ الأُولَى أَضْحَوا أَسَارَى عَقْلِهِمْ ذَهَبُوا بِحَسْرَةِ فَاقِدٍ مُتَنَدِّمِ

إِشْرَبْ وَعُدْ كَالأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُمْ صَارُوا زَبِيباً فِي أَوَانِ الْحِصْرِمِ[3]

نلاحظ من خلال الرباعيتين السابقتين تناقضا في أفكار الخيام، وهو ما يفتح مجالا للشّك في صحّة إحدى الرباعيتين على الأقل، فكيف يُؤمن الإنسان بالشيء وضدّه؟ ويدافع عن الفكرة ونقيضها؟ لكن سنورده من باب الأمانة العلميّة ويبقى رأينا مجرد استنتاج لا أكثر.

II- القضاء والقدر، الجبر الميتافيزيقي:

تدلّ بعض الرباعيات المنسوبة إلى الخيام على اعتقاده بالقضاء والقدر وحكمهما، فطالما

[1] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص95.

[2] رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص69.

[3] المرجع نفسه، ص105.

الإنسان مُسيّر بحكم القضاء والقدر، فلن يُعَدّ مسؤولا عما يصدر عنه، ومنها قوله:[1]

حَقِيقَةُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ عِنْدَ نَاظِرِ سِوَى مَجَازٍ فَفِيْمَ الْهَمُّ وَالأَلَمُ

فَجَارِ دَهْرَكَ وَاخْضَعْ لِلْقَضَاءِ فَلَنْ تُطِيقَ تَبْدِيلَ مَا قَدْ خَطَّهُ الْقَلَمُ[2]

III- الروح:

في عدد من الرباعيات المنسوبة إلى الخيام يدلّ مضمونها على تجرّد الروح عن الجسم وافتراقها عنه[3]، وهذا ما دفع البعض إلى القول بأنه من المتصوّفة المتشددين، غير أنّ العديد من الدراسات أكّدت عكس هذا الكلام تماما، ومن الرباعيات التي تناولت جانب الروح نجد:

أَرَى أَجْدَاثَنَا تُبْنَى بِلِبْنٍ غَداً يَا صَاحِ إِنْ نَرِدِ الْمَنُونَا

وَيُصْنَعُ مِنْ تُرَانَا بَعْدُ لِبْنٌ بِهِ تُبْنَى قُبُورُ الآخَرِينَا[4]

ويقول أيضا:

بَادِرْ فَسَوْفَ تَعُوْدُ أَدْرَاجَ الْفَنَا وَسَتَتْرُكُ الْجُثْمَانَ مِنْكَ الرُّوْحُ

وَاشْرَبْ وَعِشْ جَذِلاً فَلَسْتَ بِعَالِمٍ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَأَيْنَ بَعْدُ تَرُوْحُ[5].

[1] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق ص95.

[2] رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مرجع سابق، ص101.

[3] تغريد زعيميان، المرجع السابق، ص98.

[4] رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص113.

[5] المرجع نفسه، ص28.

VI- تغييرات العالم وما فيه من الكائنات وتحوّلها ثمّ فنائها:

يرى الخيام أن نهاية كلّ إنسان هي الفناء فالإنسان بعد الموت يفنى ويصبح جسمه تراباً، ومن هذا التراب ستصنع أواني فخارية، وستُبنى القصور، أو أن يصبح التراب موطئ أقدام المارة الجهلاء.[1]

ومما نسب إليه في هذا الجانب قوله:

مَرَرْتُ أَمْسِ بِخَزَّافٍ يُدَقِّقُ فِي صُنْعِ الثَّرَى دَائِباً مِنْ دُوْنِ إِنْصَافِ

شَاهَدْتُ إِنْ لَمْ يُشَاهِدْ غَيْرُ ذِي بَصَرٍ ثَرَى جُدُودِي بِكَفَّي كُلِّ خَزَّافِ[2].

V- تحديد متطلّبات الحياة:

وفيه حديث عن القناعة والكفّ عن طلب الزيادة، وفيه إشارة إلى عزّة النفس[3]، ومن ذلك قوله:

إِذَا كُنْتَ تَسْعَى فِي الْحَيَاةِ لِمَطْعَمٍ إِلَى مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ فَلَكَ الْعُذْرُ

وَفِيمَا عَدَا هَاتِيكَ فَالسَّعْيُ ذَاهِبٌ هَبَاءً فَحَاذِرْ أَوْ يَضِيعَ بِهِ الْعُمْرُ[4]

[1] تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، مرجع سابق، ص99.

[2] رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مرجع سابق، ص75.

[3] تغريد زعيميان، المرجع السابق، ص99.

[4] رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص54.

المبحث الثاني: تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام

- المطلب الأوّل: نماذج عن تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام

لقد تطرقنا في الفصل النظري إلى علاقة الأدب العربي بالأدب الفارسي وجوانب التأثير والتأثر فيه، وعلمنا مدى التّداخل الكبير بين الأمتين منذ العصر الجاهلي ووصولا إلى العصر العباسي الذي ازدهرت فيه حركة التّرجمة وتنوعت فيه السلع الأدبيّة وتداخلت فيه المصطلحات والعبارات ويظهر ذلك في الأشعار بشكل خاص، ونورد في هذا المطلب جانبا من التأثّر الفكري والفلسفي لبعض الأدباء العرب بالشاعر عمر الخيام.

لا تترك مئات الكتب والمقالات المكتوبة في الأدبين العربي والفارسي حول الخيام ورباعياته مجالاً للشك في تأثير هذا الأديب الفارسي الفحل في الأدب العربي المعاصر، منها:

- عمر الخيام بين الحقيقة والأسطورة لأحمد مصطفى الخطيب.
- شهرة الخيام بين العلم والأدب لعبد الحق فاضل.
- رباعيات عمر الخيام لماهر حسن فهمي.
- ثورة الخيام لعبد الحق فاضل.
- عمر الخيام حياته علمه ورباعياته لأحمد حامد الصراف.
- رباعيات عمر الخيام لأحمد الصافي النجفي.
- عمر الخيام ليوسف بكار...[1]

[1] حامد صدقي، دراسة مسألة الشك في رباعيات عمر الخيام وقصيدة الطلاسم إيليا أبو ماضي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، إيران، ع41، 2018م، ص773.

ونذكر هنا نموذجين عن تأثّر الأدباء المعاصرين بعمر الخيام:

النموذج 1: تأثّر جماعة الديوان بعمر الخيام

تعدّ مدرسة الديوان من المدارس الحديثة التي تأثّرت بالآداب الأجنبية الأخرى كالفرنسيّة والانجليزيّة والأمريكية والفارسيّة، وسرعان ما تأثّر أدباء هذه المدرسة بالشاعر الفارسي عمر الخيام ورباعياته ما صح منها له وما لم يصح، واعتنوا بها عناية كبيرة تجسدت عند العقاد والمازني في الكتابة عن الرجل وعن الرباعيات وبعض ما يتصل بترجماتها العربية المبكرة، وتمثّلت عندهم جميعا بترجمة كل منهم لعدد مختلف من الرباعيات عن منظومة الشاعر الإنجليزي المعروف إدوارد فيتزجيرالد التي نهضت على عدد مختار من الرباعيات لم يزد على مائة وعشر رباعيات في إحدى طبعاتها الخمسة والتي كانت سر شهرته وذيوع صيته في العالم.[1]

ولقد خلّفت عنايتهم بالخيام والرباعيات معاً آثارا مُعتبرة، فالعقاد الذي كان أكثرهم تتبُعاً واهتماماً انتقل من المعارضة الشعرية لبعض أفكار الرباعيات أو التأثر المقارني السلبي إلى موقف علمي معتدل انبجس عن كثرة "مصادفاته" مع الخيام التي غيرت من نظرته العامة إليه، فعلى سبيل المثال، نرى أن للعقاد قصيدة عنوانها «جنة الخيام»:

رغيف خبزٍ ووجهٌ حلوٌ وكأسُ مدام

وتلك جنة عدنٍ في مذاهب الخَيَّام[2]

[1] حسين شمس أبادي وآخرون، أنوار نجوم تأثر مدرسة الديوان بسماء الآداب الأجنبيّة، مجلّة دراسات الأدب المعاصر، إيران، ع7، 1396هـ، ص39.

[2] عباس محمود العقاد: أعاصير مغرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2003، ص 94.

النموذج 2: تأثّر إيليا أبو ماضي بعمر الخيام:

كان أبو ماضي يجمع في معانيه وفي صوره الشعرية بين المتناقضات ويُؤلف بينها في تناغم خفي وسري فيمتزج لديه التشاؤم بالتفاؤل، والشك باليقين على غرار ما تجده لدى عمر الخيام وهو الداعي إلى التمتع بالحياة والاستمتاع بالربيع والطبيعة قبل مجيء الشتاء والذبول والفناء.[1]

ومن مظاهر تأثّر إيليا أبو ماضي بعمر الخيام نذكر:

1- الشك في مبدأ خلقة الانسان:

- الخيام:

در دايره اى كامدن ورفتن ماست آن را نه بدايت نه نهايت پيداست

← ليس لذا العالم ابتداء يبدو ولا غاية ولا حد.

كس مى نزند دمى در اين معنا راست كاين آمدن از كجا و رفتن به كجاست

← ولم أجد من يقول حقا من أين جئنا وأين نغدو[2]

- أبو ماضي:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَين وَلَكِنّي أَتَيتُ وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ

[1] منصور قيسومة، اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، تونس، دط، دت، ص140.
[2] عمر الخيام، رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد صافي النجفي: مرجع سابق، ص31.

وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَرِيقي لَستُ أَدري.[1]

2- الشك في كون العالم قديما أو محدثا:

- الخيام:

چون نيست مقام ما در اين دهر مقيم پس بى مى و معشوق خطائيست عظيم

← إِذَا لَمْ نَكُنْ فِي الدَّهْرِ نَبْقَى فَعَيْشُنَا بِدُوْنِ الْحُمَيَّا وَالْحَبِيبِ ذَمِيمُ

تا كى ز قديم و محدث اميدم و بيم چون من رفتم جهان چه محدث چه قديم

← إِلَى مَ اهْتِمَامِي فِي قَدِيمٍ وَحَادِثٍ وَسِيَّانَ بَعْدِي حَادِثٌ وَقَدِيمُ[2]

- أبو ماضي:

أَجَديدٌ أَم قَديمٌ أَنا في هَذا الوُجود هَل أَنا حُرٌّ طَليقٌ أَم أَسيرٌ في قُيود

هَل أَنا قائِدُ نَفسي في حَياتي أَم مَقود أَتَمَنّى أَنَّني أَدري وَلَكِن لَستُ أَدري[3]

3- الشك في كيفيّة بعث الإنسان في الآخرة.[4]

4- القدح والطعن في الزهاد والمتزمتين.[5]

5- ذكر موت الملوك وفنائهم وبقاء قصورهم.

6- عدم وجود العدل في العالم.

[1] إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، دط، دت، ص191

[2] عمر الخيام، رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص103

[3] إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، المرجع السابق، ص191

[4] حامد صدقي، دراسة مسألة الشك في رباعيات عمر الخيام وقصيدة الطلاسم إيليا أبو ماضي، مرجع سابق، ص773.

[5] المرجع نفسه، ص774.

7- معرفة وجود الإنسان.

8- معرفة النفس.[1]

يتضح لنا من خلال كلّ ما سبق التأثّر البليغ لإيليا أبو ماضي بعمر الخيام في فكره وأرائه الفلسفيّة وكلاهما كانت تتخره مسألة الشّك، ومذهب أبو ماضي واضح في هذا الباب ولمسة الخيام بعد ذلك واضحة في أدبه فقد ضاهاه في أغلب موضوعاته.

ويجدر بنا الاشارة إلى أنّ ما يجمع بين هاذين الشاعرين يمكن اعتباره تطابقا فكريا وفلسفيا.

[1] المرجع السابق، ص 775.

– المطلب الثّاني: نموذج تحليل ومقارنة لرباعية من رباعيات الخيام مع شعر إيليا أبو ماضي

- رباعيّة الخيام:

لَيْسَ لِذَا الْعَالَمِ ابْتِدَاءٌ يَبْدُو وَلاَ غَايَةٌ وَحَدُّ

وَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَقُولُ حَقّاً مِنْ أَيْنَ جِئْنَا وَأَيْنَ نَغْدُو؟[1]

- إيليا أبو ماضي:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَين وَلَكِنّي أَتَيتُ وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ

وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَريقي لَستُ أَدري[2]

التّحليل والمقارنة:

1- الشرح:

- الخيام: ينكر الخيام بداية العالم وهو حائر في طريقة خلقه وكيف نشأ، ويتساءل عن ذلك ولا يجد مُجِيبًا، وكل هذا يُعبّر عن نظرة فلسفيّة تبحث في أصل الوجود.

- إيليا أبو ماضي: يتحدّث الشاعر في هذه القطعة الشعريّة عن حيرته في الوجود والنشأة، وهو جاهل بمصدر خلقه، وتزداد حيرته في البيت الثاني فهو لا يعلم إن كان مُخيّرا أو مُسيّرا. وبذلك فهو يبحث في أصل الوجود ومصدره بهذه الآراء الفلسفيّة.

[1] عمر الخيام، رباعيات عمر الخيام، المرجع السابق، ص31

[2] إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، المرجع السابق، ص191

2- الخصائص الأسلوبيّة:

- الخيام:

- استعمال الاستفهام الإنكاري. (من أين؟).
- استخدام أسلوب النفي (ليس، لا، لم).
- غلبة الجمل الفعليّة (يقول، يبدو، أجد، جئنا، نغدو) الأمر الذي يدل على حالة الاضطراب النفسي والعقلي للشاعر.
- استخدام النفي بعد النفي (ليس لذا العالم... لا غاية وحد)، والإنكار بعد النفي (لم أجد ... من أين جئنا) دليل على الجهل والإنكار بحقيقة الوجود.
- كثرة التساؤلات الفلسفيّة والاستفهام، في محاولة لتحريك البحث عن أصل الإنسان ومنشئه.
- غلبة ضميري المتكلم (أجد، جئنا، نغدو.)

- إيليا أبو ماضي:

- استخدام الإثبات وبعده النفي في دلالة على حالة الاضطراب النفسي.
- استخدام أسلوب الاستفهام مع الاستدراك وبعده إثبات (من أين؟ لكنّي، لقد) وهو ما يبرر الحالة الشعوريّة المبنيّة على الشكّ بحقيقة الوجود.
- غلبة الاستفهام الانكار (كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي.)

- الحيرة في كون الإنسان مُسيرا أم مُخيرا (شئت أم أبيت).

- العودة للنفي في إنكار حقيقة المنشأ وهو ما يبرر حالة الشك التي يعيشها مرة أخرى.

- غلبة ضمير المتكلم (شئت، أبيت، أبصرت، طريقي).

3- الخصائص البلاغيّة:

- الخيام:

- استخدام المحسنات البديعيّة المعنويّة: طباق الإيجاب في قوله: ابتداء =/= حدّ. جئنا =/=نغدو.

- خلو القطعة من المحسنات البديعيّة اللفظيّة كالسجع والجناس.

- الترادف: ليس= لا.

- التكرار: لا، ولا. من أين، وأين.

- الانتقال من ضمير المفرد إلى ضمير الجماعة. (لم أجد "أنا" جئنا "نحن").

- إيليا أبو ماضي:

- استخدام المحسنات البديعيّة المعنويّة: الترادف: جئت =أتيت.

- طباق الإيجاب: شئت=/= أبيت.

- التكرار: فمشيت، ماشيا. طريقا، طريقي.

- لزوم ضمير المتكلم من بداية إلى نهاية البيتين.

- استخدام المحسنات البديعيّة اللفظيّة: السجع: جئت، أتيت، مشيت – شئت، أبيت، جئت، أبصرت.

نلاحظ من خلال التحليل البلاغي والأسلوبي وكذا شرح بيتي الشاعرين ما يلي:

- البنى الخطابيّة متطابقة بين الشاعرين إلى حدّ كبير.

- النزعة الرومانسية والمتمثّلة في النظرة الفلسفيّة للحياة.

- غلبة مسألة الشّك والحيرة عند كلا الشاعرين.

- البعد عن التنميق اللفظي والأسلوب الموغل في الغموض والتركيز على الفكرة عوض اللفظ.

- كثرة التساؤلات والحوارات الداخلية.

- استخدام ضمير المتكلّم بشكل كبير.

- التكرار بغرض التوكيد على الفكرة.

- اللف والدوران حول فكرة واحدة بشكل كبير خلال البيتين (الشك والحيرة).

خلاصة:

تستوقف الدارس لسيرة عمر الخيام وأعماله الشعريّة (الرباعيات) الكثير من الأمور المثيرة للعجب أوّلا وللجدل ثانيّا وللنظر ثالثا،

فأما العجب فهو في موسوعيّة هذا الشخص وقدراته العلميّة الهائلة خاصّة في مجال الفلك والرياضيات وحساب التقويم والمعادلات التكعيبيّة وغير ذلك، وربما جهل الكثير منّا الجانب العلمي من حياته لدرجة اعتقادنا بأنّ أعمال هذا العظيم لُخِّصت في الرباعيات الشعريّة، ولكن بعد البحث نجد أنّ الكثير من العلماء اعتبروه سابقا لعصره كالمتنبي ووائل بن ربيعة وغيرهم، ونلاحظ أيضا أنّه كان مبدعا في شعره وجدد الكثير من المواضيع وأدخل القضايا الفلسفيّة في شعره بعدما كانت أغراض الشعر تدور بين المدح والذمّ ونحوهما.

وأما الجدل فهو من زاويتين، أما الأولى ففي أصله : أهو عربي هاجر إلى فارس، أم فارسيّ تأثّر بالعرب من خلال رحلاته وحجّه وغير ذلك؟ وما يثبت ذلك هو تسميّته من قبل والده بـ: "عمر"، ذلك أنّ هذا الاسم منبوذ عند الشيعة الإيرانيّة وسيعيرونه به نظرا لعدائهم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن الغباء أن يسميه والده بهذا الاسم وهو يعلم علم اليقين أنّه سيكون معيرة له، اللهم إلّا إذا كان في طائفة سنيّة، وهذا مُستبعدٌ كون والده كان على الديانة الزرادشتية ومتشددا فوق ذلك. أما الزاوية الثانيّة فهي ما يخص رباعياته التي أسالت الكثير من الحبر وجعلت الناقمين منه يرمونه بالكفر والزندقة والدهريّة وغير ذلك من مهلكات العبد، لكن هناك من يرى غير ذلك ويجزم أنّ العشرات من الرباعيات حملت عليه باطلا، خاصة وأنّ شعره بقي طيّ النسيان ما يقارب ثلاثة قرون ونصف قرن حتى جاء الباحث الإنجليزي

إدوارد فتزجيرالد (Edward FitzGerald) ونقّب عنها، ومنه أخذ أغلب المترجمين مصادرهم، في حين يذكر الكثير من المؤرخين أنه كان علاَّمة زمانه، وتَقِيّا ورعا وإماما مجدّا، وهذا يبقى محلّ جدال ونظن به ظنّ الخير.

أمّا ما يثير النظر، فهو انتباهنا عند قراءة أعمال الخيام الشعرية قراءة نقدية إلى التناقضات الكثيرة التي تدافع عن الرأي وضده، وتذم شيئا وتعود لمدحه، ونخصّ بالذكر هنا حديثه عن الخمرة وقضيّة الإيمان بالقضاء والقدر وغير ذلك، لكن هناك احتمال بوجود انفصام في شخص الخيام نظرا لتغنيه الكثير بالخمرة ذلك أنّه ربما قال بعض شعره وهو في حالة سكر والله أعلم.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ حالة التّأثير الكبير التي مسّت الآداب العربيّة وإنّما كانت نتيجة احتكاكها الكبير بعمر الخيام والتأثّر بأفكاره والتّرجمة غير المحدودة لأعماله الشعريّة الخالدة. ولعل أبرز مُتأثّر بهذا الشاعر هو الشاعر إيليا أبو ماضي صاحب النزعة الرومانسية.

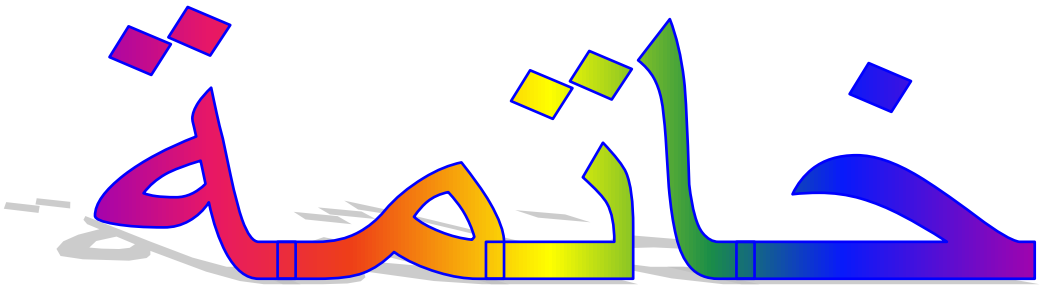
خاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن القول أن التداخل العربي الفارسي قد شمل العديد من المجالات المهمّة في الحياة، فمنها السياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والأدبيّة وغيرها، وكان هذا التداخل بفعل مجموعة من العوامل كالتجارة ورحلات المستشرقين والأنساب والمصاهرة وغيرها من العوامل، وقد امتدت هذه التداخلات بين الشعبين منذ العصر الجاهلي و بالأخصّ في مملكة الحيرة وصولا إلى صدر الإسلام والفتوحات الإسلاميّة التي عمّقت التداخل بين الشعبين.

وعموما، فقد توصلنا إلى جملة من النتائج التي قد تفيد المهتم بموضوع البحث، هي كالآتي:

– هناك صلات وثيقة بين الأدب العربي والأدب الفارسي.

– إنّ الصلات بين العرب والفرس ضاربة بعمق في جذور التاريخ وشاملة لأغلب نواحي الحياة.

– كانت الفتوحات الإسلاميّة أكثر سبب معمق للتّداخل الثّقافي العربي الفارسي.

– لعب العصر العباسي وبيت الحكمة بشكل خاص دوراً كبيراً في نقل الآداب الفارسيّة إلى العرب وفي انفتاح العرب على ثقافة الفرس.

– كان النتاج الأدبي العربي في العصر الجاهلي حريصا على عدم الاختلاط بآداب الأمم الأخرى حرصا على فصاحته من جهة ولنظرته الاستعلائيّة إلى ذاته من جهة أخرى.

– أثّرت حركة الترجمة التي بدأت في العصر العباسي الأوّل في أفكار الأدباء والمثقفين

العرب والفرس وأنتجت ثقافة جديدة تحاول الدفاع عن الدين من خلال الفرق الكلاميّة والفلاسفة.

– وجد الأدباء العرب في العصر الحديث مادّة غزيرة للنقد والمحاكاة في التراث الفارسي.

– تعتبر القصّة على لسان الحيوان في الأدب الفارسي من أبرز ما تأثّر به الأدباء العرب بعد الترجمة التي قام بها ابن المقفع لكتاب " كليلة ودمنة".

– تعدّ رباعيات عمر الخيام أهمّ تراث فارسي في باب الشعر والتي عبرت عن فكر الشاعر عمر الخيام الفلسفي والديني.

– هناك مجال للشّك في مصداقيّة بعض الرباعيات المترجمة عن عمر الخيام لما تحمله من متناقضات.

– إنّ أكثر ما يميّز رباعيات الخيام هما الخمرة ومسألة الشّك والحيرة.

– لم يكن عمر الخيام مُجرّد شاعر فقط، إنّما كان فيلسوفا ورياضيتيا وفلكيّا وصاحب تفكير علمي.

– ظهر تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيام في العصر الحديث من خلال جماعة الديوان وأصحاب النزعة الرومانسيّة.

ونعتقد أنّ هناك الكثير من الأفكار التي يمكن أن تُستلهم من هذا البحث، وربما نكون قد عجزنا عن ملاحظتها أو إدراكها.

وبناء على هذه النتائج وعلى ما قدمناه من عمل، توصلنا أن البحث في ظاهرة التأثير والتأثّر بين الأدبين العربي والفارسي بحاجة لمزيد من الدراسات والأبحاث، وقد ارتأينا أن نفتح آفاقا جديدة ربما تكون محل اهتمام القارئ للبحث والتوسّع فيها:

- حركة الترجمة في العصر العباسي الأوّل ودورها في نقل التراث الفارسي إلى العرب.

- الصراع الفكري والأدبي بين العرب والفرس.

- الوضع والانتحال في رباعيات عمر الخيام.

- علاقة أدباء الفرس ببيت الحكمة في بغداد عند العصر العباسي الأوّل.

إنّ سعة الموضوع الذي تطرّقنا إليه يجعلنا نشعر ونحن على أبواب نهايته بأنّنا لم نستفض بما فيه الكفاية فيه وبالتالي نأمل أن يكون عملنا هذا نقطة ارتكاز لدراسات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- المعاجم:

1-ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 15، 1424هـ -2003.

2-كامل سليمان الجبوري: معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى 2002، مج6، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2002.

- الكتب:

1- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تح بشار عوار معروف، ج13، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001.

2-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطّبري، الجزء الأوّل، دط، دت.

3- أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم النطنزي الأصبهاني: دستور اللغة العربية (كتاب الخلاص)، ج1، دراسة وتحقيق أحمد هادي زيدان، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 1971.

4-الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن: أصوله، تطوّره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987.

5-أمل إبراهيم محمد: الأثر العربي في أدب سعدي الشيرازي، الدار الثقافيّة للنشر، مصر، ط2، 2000.

6-تامر بن سليمان الحامد: تأثّر الأدب العربي بالآداب الأخرى، شبكة الألوكة، المملكة العربيّة السعوديّة، طبعة إلكترونيّة، 1433/1432.

7-تغريد زعيميان: الأراء الفلسفيّة عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، الدار الثقافيّة للنشر، مصر، 2003.

8- حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، الدار الثقافيّة للنشر، 2001.

9-رشيد يلوح: التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الاوّل إلى القرن العاشر الهجري، المركز العربي للأبحاث والدراسات، دطَ، مارس، 2014.

10-شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح الأبشيهي: المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، تحقيق محمد الهنا، مكتبة الإيمان، منصورة، مصر، ط2، 2006.

11-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي -العصر العباسي الأول-، دار المعارف، مصر، ط16، 2004.

12-عباس محمود العقاد: أعاصير مغرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2003.

13-عبد الله خليفة: الاتجاهات المثاليّة في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005.

14-عبد المنعم الحفني: عمر الخيام والرباعيات (الإمام والحكيم، حجة الحق، الفيلسوف، العالم)، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، 1992.

15-عبد الوهاب عزام: الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهليّة والإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، دط، القاهرة، مصر، 2013.

16-عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام (الفلكي الشاعر، الفيلسوف الفارسي) تعريب وديع البستاني، مطبعة المعارف، مصر، دط، دت.

17-عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، مكتبة الفكر الجديد، طهران، إيران، دط، دت.

18-عمر الخيام، رباعيات الخيام، ترجمة أحمد رامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000.

19-غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط، 2013.

20-فرح ناز رفعت جو: العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي، دار الهادي للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008.

21-فرح ناز علي صفدر رفعت جو: المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي، الحميدي والحريري خصوصا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، 2011.

22- محمد زرمان الجزائري: الثقافة العربيّة الإسلاميّة وتجربة التفاعل مع الآخر، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2008.

23- محمود شيت خطاب: قادة فتح بلاد فارس، دار الفتح، بيروت، 1965.

24-محمود عرفة محمد: العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينيّة وأهم مظاهر حضارتهم، دار الثقافة العربيّة، مصر، دط، 2002.

25-منصور قيسومة: اتجاهات الشعر العربي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين، الدار التونسية للكتاب، تونس، دط، دت.

26- نسرين هاني الدهني: استقبال الأدب الفارسي المعاصر في الوطن العربي، ج1، بيروت، لبنان، 2008.

27-يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، 1996.

- المجلات:

1-بسامة علي ربابعة: عمر الخيام، الفيلسوف المظلوم، المجلة الشرقية رقم: 23، 2013.

2-حامد صدقي: دراسة مسألة الشّك في رباعيات عمر الخيام وقصيدة الطلاسم إيليا أبو ماضي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، إيران، ع41، 2018م.

3-حسين شمس أبادي وآخرون: أنوار نجوم تأثر مدرسة الديوان بسماء الآداب الأجنبيّة، مجلّة دراسات الأدب المعاصر، إيران، ع7، 1396هـ.

4-محمد نور الدين عبد المنعم: تأثير اللغة العربيّة في نشأة اللغة الفارسيّة الحديثة وتطوّرها، مجلة الفيصل، ع 258، دار الفيصل الثقافيّة، 1998.

5-نصر الدين جار النبي سليمان: حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأوّل (132هـ-232هـ)، مجلّة جامعة شندي، ع1، السودان، يناير 2004.

- المواقع الالكترونيّة:

1- أحلام حسنين: عمر الخيام، صاحب الرباعيات، والأشهر عالميا، موقع مصر العربيّة، https://masralarabia.net (2020/07/12، 07:46)

2- نسرين شكيبي ممتاز: حول ترجمة الأدب العربي للفارسيّة والعكس، موقع ميدل إيست أونلاين، https://meo.news/ (2020/07/26، 20:53)

الملاحق

ملحق رقم 01:

- سيرة عمر الخيام.

على مر الأزمنة واختلاف الأمم، شاع بين الناس أنّ من يحمل لقب عالم أو فقيه أو شاعر إنما يكون قد أجاد وأحسن في فنّ من الفنون اللغوية، أو العلميّة أو الدينية أو الأدبيّة وما إلى ذلك، ولكن هذا لم يكن يعني إهمال الشاعر أو الفقيه أو العالم للعلوم الأخرى، فالشافعي كان فقيها وإماما وشاعرا، وهو محسوب على الفقه، وهذا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي كان طبيبا وكيميائيا وفيلسوفا ورياضيتيا بارزا، ومع ذلك فهو بازغ في الطب دون سائر العلوم، والأمثلة عن ذلك كثيرة.

وفي حديثنا هذا إشارة إلى أنّ الرجال الذين عاشوا في العصور السابقة وبلغنا صيتهم قد كانوا رجالا موسوعيين* أكثر منهم مُتخصصين، وهذا التمهيد لنزيل أسئلة قد تتبادر إلى أذهاننا عند الحديث عن الشاعر الذي ارتبط اسمه بمصطلح الرباعيات في الشعر ألا وهو الشاعر الفارسي المجد والحكيم والفلكي وعالم الرياضيات "عمر الخيام" فمن يكون عمر الخيام؟ وما أبرز آثاره؟

1- اسمه ونسبه:

اتفق أغلب المؤرخين حول الاسم الكامل للخيام ونسبه إلّا أنّ نزرًا يسيرًا منهم اختلفوا حول

---

* العالم الموسوعي: مصطلح يطلق على العلماء الذين يجمعون بين أكثر من علم كالطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغير ذلك، وانتشر هذا الأمر في العصور السابقة نظرا لطريقة التعليم غير المعتمدة على التخصص وغير الممنهجة أحيانا.

ذلك، ففريق يرى بفارسية هذا الشاعر وفريق آخر يرجح عروبته مع إقامته ببلاد الفرس، وسنحاول أن نورد الرأيين فيما يأتي.

"اسمه عمر، وكنيته أبو الفتح أو أبو حفص، ولقبه غياث الدين، واسم والده إبراهيم، ويعرف بالخيامي، وقيل بالخيام – النيسابوري – وأول من قال بهذا تلميذه النظامي العروضي السمرقندي في كتابه جهار مقاله.

ويعتبر اسم الخيامي لقبا لأبيه، أو لأسرته، وربما كان أبوه يمتهن صناعة الخيام أو بيعها. على أن معاصري الخيامي لم يسمعوا أحدا يخاطب الحكيم باسم "الخيام"، وحينما نودي جيء باسمه " الخيامي" أو "الخيام بعد اسم والده" إبراهيم، أو أنه دعي بابن الخيام وبهذا يمكن القول بأن الحكيم لم يناد في عصره بالخيام، أما اشتهاره بالخيام فقد راج في عصور متأخرة إما نسبة لأبيه أو تساهلا من قبل المؤرخين."[1]

وهذا قول آخر عن اسمه ونسبه:

"الإجماع على أن اسم الخيام هو عمر بن إبراهيم، ولم يثبت له اسم ثلاثي ولم تتوفر البحوث في أصله ونسبه وانتماءاته العرقية والطبقية، واقتصار الاسم على عمر بن إبراهيم يؤكد أن الخيام لم يكن يهتم بأن ينسب نفسه ويسلسل لشجرة عائلته، والغالب أنه من أصول عربية سنية، فاسم عمر لا يذكره الشيعة الإيرانية، وهم أغلب الشعب، إلا بالسوء والسب. ولو كانت أصوله إيرانية لكان الأولى بأن يؤكد ذلك بإلحاق أسمه بأي اسم أو صفة إيرانية، أو حتى بأن ينسب نفسه إلى البلد الذي تنتمي إليه أصوله. كما يفعل كل شعراء الفرس تقريبا

[1] تغريد زعيميان: الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2003، ص 27–28.

كالبادغيسى والسجزى والكنجوى بالفرخي والخاقاني وغيرهم. وحتى لو كان الخيام سنيا مع كونه إيرانيا، لما أطلق أبوه عليه اسم عمر ليستعدي عليه الناس الذين ينشؤون على كراهية هذا الاسم. والغالب إذن أن عمر كان عربي النسبة من العرب الذين يهاجرون إلى إيران أو هاجروا إليها مع الفتح العربي، وانصهروا مع السكان الأصليين وتزوجوا منهم واحتفظوا لأنفسهم ولأبنائهم بأسمائهم العربية ليميزوهم بها، وليفاخروا بأصولهم. وكان هؤلاء جميعا من السنة ولم يتشيعوا بالهجرة، وما يزال السنة في إيران حتى اليوم هذه أصولهم، ويقوى احتمال عروبة الخيام أنه كان يتقن العربية، وينظم الشعر بها ويؤلف المصنفات وهذا أمر نادر بين شعراء الفرس الخالصة فارسيتهم"[1]

ومنه يمكن القول أنّ عمر الخيام إنّما نُودِي بالخيام نسبة إلى والده الذي يرجح العلماء أنه امتهن صناعة الخيام، ولم يكن لعمر علاقة بهذه الحرفة حسب اتفاق المصادر التاريخية التي عنيت بذكره، أما بخصوص نسبه أكان فارسيا أم عربيا فهذا يبقى محل خلاف، والمتفق عليه أنّه سكن بلاد الفرس وتأثر بالعرب.

2- المولد، الوفاة، النشأة والحياة العلميّة:

أ- المولد والوفاة:

ليس هناك جزم بتاريخ ميلاد الرجال الأوائل في العصور المتقدمة غير أنّ أغلبهم يتفق على

[1] عبد المنعم الحفني: عمر الخيام والرباعيات (الإمام والحكيم، حجة الحق، الفيلسوف، العالم)، دار الرشاد، الإسكندرية، مصر، 1992، ص14.

سنة الوفاة، ذلك أنّ مقياس ما قدمه الرجل في حياته هو ما يجعله مذكورا بعد وفاته، وهو ما لا ينسي تاريخ وفاته، في حين أنّ ميلاد الجميع متساو.

"يتراوح تاريخ ولادته في مجال الشكّ بين 1025 وسنة 1050 للميلاد، وقد اجتمع العمريون* على أنه توفي في نيسابور عام 1123 للميلاد"[1] وبذلك يكون الخيام قد عمّر بين 73 سنة إلى 98 سنة.

ب-النشأة والحياة العلميّة:

برع عمر الخيام في كل من الشعر والفلسفة والجبر وعلوم الرياضيات كما كان علامة عصره، فقد جمع الفلك مع الفقه والطب مع القرآن الكريم والفلسفة مع علوم اللغة المختلفة.

تتلمذ عمر الخيام على يد ابن سينا، وانضم "الخيام" في مطلع عقده الثاني إلى إحدى القوافل التي تنظم رحلة مدتها ثلاثة أشهر من نيسابور إلى سمرقند، التي تقع اليوم في أوزباكستان، وكانت مركزًا للمنح الدراسية، وهناك تواصل مع أبو الطاهر صديق والده القديم الذي كان حاكم وقاضي المدينة، وسرعان ما اكتشف أن لديه موهبةٌ غير عادية في علم الأرقام، فوظفه في مكتبه.

وفيما بعد حصل الخيام على وظيفةٍ في خزانة الملك، وقد أحرز تقدمًا كبيرًا في علم الجبر أثناء إقامته في سمرقند.

---

* العمريون: هم الأدباء الغربيون الذين صرفوا همتهم إلى درس فلسفة عمر وشعره.

[1] عمر الخيام: رباعيات عمر الخيام (الفلكي الشاعر، الفيلسوف الفارسي) تعريب وديع البستاني، مطبعة المعارف، مصر، دط، دت، ص5.

علم الخيام أنّه ليس من الممكن حل المعادلات التكعيبية باستخدام أدوات الهندسة اليونانية القديمة كالبوصلة والمسطرة وهناك حاجة إلى أساليب أخرى.

وفي عام 1070 نشر الخيام واحدة من أعظم أعماله، وهي رسالةٌ حول إظهار مشاكل الجبر والموازنة، أظهر فيها أن المعادلة التكعيبية يمكن أن يكون لها أكثر من حلٍ واحد، وأوضح أيضًا كيف يمكن استخدام القطوع كالقطع المكافئ والدوائر لإعطاء حلول هندسية للمعادلات التكعيبية.

كان أرخميدس قد بدأ بالفعل بالعمل في هذا المجال منذ أكثر من ألف عام، عندما واجه مشكلةً محددة في العثور على نسبه حجم جزء إلى آخر ضمن مجالٍ معين، فيما نظر الخيام في هذه المشكلة بطريقةٍ أكثر عمومية ومنهجية، وتجنب المعادلات السلبية والحلول السلبية، لأن الأعداد السلبية لم يكن معترفًا بها في الرياضيات الإسلامية.[1]

في عام 1073 تلقى الخيام دعوةً الى مدينة أصفهان الفارسية، عاصمة الإمبراطورية السلجوقية، لإعداد جدولٍ زمني من شأنه أن يعمل بطريقةٍ دقيقة إلى الأبد، وكان هذا هو العصر الذي تحدد فيه طول السنة بشكلٍ دقيق ومنتظم. تمت دعوة الخيام من قبل الرجلين الأكثر سلطة في الإمبراطورية السلجوقية والتي كانت بلاد فارس جزءًا منها، وهما ملك شاه سلطان الإمبراطورية، ووزيره نظام الملك.

---

[1] أحلام حسنين: عمر الخيام، صاحب الرباعيات، والأشهر عالميا، موقع مصر العربيّة، 2020/07/12، 07:46. https://masralarabia.net

كما وضع "الخيام" تقويما سنويا بالغ الدقة، كان أكثر دقة من ذلك الذي وُضع قبله بخمسة قرون، وقد تولى الرصد في مرصد أصفهان، وقد طلب منه السلطان ملكشاه سنة 467 هـ/1074 م مساعدته في تعديل التقويم الفارسي القديم.[1]

[1] أحلام حسنين: المرجع السابق، 2020/07/12، 07:49.

ملحق رقم 02:

- أهم آثار عمر الخيام.

يعتبر عمر الخيام آية في الفكر والفلسفة والطب والرياضيات، وأهمّ ما بلغنا من آثاره نوجزه في النقاط التالية:

- وضع التقويم الجلالي:[1] وهو تقويم هجري شمسي، سمي بالجلالي نسبة لجلال الدولة السلطان السلجوقي ملك شاه. وهو تقويم مداره الأبراج الفلكية التي تمر فيها الشمس حيث إن لكل برج فلكي 30 درجة قوسية على مسار الشمس، والشمس تمر ببرج واحد في كل شهر شمسي وهو بذلك يختلف بشكل طفيف عن التقويم الغريغوري الذي يعتمد على الاعتدال الربيعي بالأساس ولذا فدقة التقويم الهجري الشمسي أعلى من الميلادي حيث تبلغ نسبة الخطأ فيه يوم واحد فقط لكل 3.8 مليون سنة، في مقابل نسبة الخطأ في التقويم الميلادي البالغة يوم واحد لكل 3300 سنة والخطأ الوارد هنا يختلف عن السنة الكبيسة حيث إن كلا التقويمين بهما سنة كبيسة.
- الاهتمام برصد الكواكب والنجوم، وذلك ما أورده زكريا قزويني في كتابه آثار البلاد والعباد: "نيسابور ينسب إليها من الحكماء عمر الخيام وكان عارفا، بجميع أنواع

[1] بسامة علي ربابعة: عمر الخيام، الفيلسوف المظلوم، المجلة الشرقية رقم: 23، 2013، ص147.

الحكمة، لاسيما النوع الرياضي، وكان في عهد السلطان ملك شاه السلجوقي وقد سلّم إليه مالا كثيرا ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب."[1]

- مقطعاته الشعرية "الرباعيات" نظمها شعرا بالفارسيّة، وترجمت إلى العربيّة واللاتينيّة والفرنسيّة والانجليزيّة والألمانيّة والإيطاليّة والدانيماركيّة وغيرها ...

مجموعة من الرسائل نذكر منها:

- شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس.
- مقالة في الجبر والمقابلة.
- الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضّة في جسم مركب منهما.
- الخلق والتكيف: بعث به إلى القاضي أبي نصر النسوي.
- رسالته: "جوابا لثلاث مسائل" في أربع ورقات في المجموعة 1933 بخزانة أسعد لأفندي باسطنبول، وصفها الميمني بأنها جليلة ملوكيّة.
- "رسالة في الموسيقى" ثلاث ورقات، في معهد المخطوطات.[2]

---

[1] عمر الخيام، رباعيات الخيام، ترجمة أحمد رامي، دار الشروق، القاهرة، مصر ، 2000، ص14.

[2] كامل سليمان الجبوري: معجم الشعراء، ج4، باب العين، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 2002، ص76.

الفهرس

الفـهـرس

إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ، ب
مدخل: علاقة العرب بالفرس عبر التاريخ	02
1 – الفرس والأمم السامية عامة	02
2 – العلاقة بين العرب والفرس قبل الإسلام	04
3– علاقة العرب بالفرس بعد الإسلام	08
الفصل الأول: تجليات التّأثير والتأثّر بين الأدب العربي والأدب الفارسي	
تمهيد	12
المبحث الأوّل: بين الأدب العربي والأدب الفارسي.	13
– المطلب الأوّل: التفاعل الفكري بين العرب والفرس	13
– المطلب الثّاني: التداخل الثقافي العربي الفارسي، العوامل والأسباب	16
– المطلب الثّالث: مكانة الترجمة ودورها في نقل الأدب بين العرب والفرس	21
المبحث الثاني: التأثير والتأثر بين العرب والفرس	27
– المطلب الأول: مفهوم التأثير والتأثر	28
– المطلب الثاني: مظاهر التأثير والتأثر	30
– المطلب الثالث: مضاهاة الحكم والآداب (التأثر المعاكس) وصورها	39
– المطلب الرابع: أشهر الأدباء العرب الذين تأثروا بالأدب الفارسي	44
خلاصة	46
الفصل الثاني: رباعيات عمر الخيام أنموذجا	
تمهيد	49
المبحث الأوّل: رباعيات الخيام	50
– المطلب الأوّل: مفهوم الرباعيات	50
– المطلب الثّاني: أقسام رباعيات الخيام	58

المبحث الثاني: تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام	64
– المطلب الأول: نماذج عن تأثّر الأدباء العرب بعمر الخيّام	64
– المطلب الثاني: نموذج تحليل ومقارنة لرباعية من رباعيات الخيام مع شعر إيليا أبو ماضي	69
خلاصة	73
خاتمة	76
قائمة المصادر والمراجع	
الملاحق	